جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني

ماذا حدث في انتخابات عام 1952

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (1981) السنة الثامنة

الإثنين (6) كانون الاول 2010

4

بدايات الجمعيات الفنية في العراق

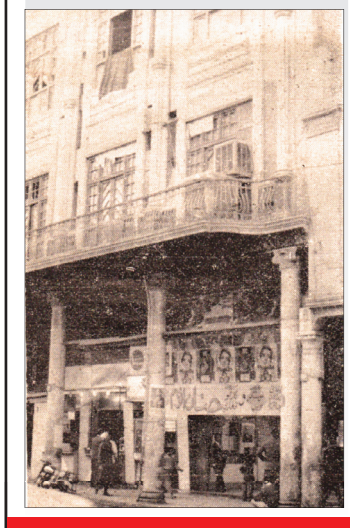

الأرمن العراقيون: تاريخ ومستقبل

الخصوصية والجاذبية والأسرار الحيوية !

د. سيار الجميل

1/ الارمن عراقيون

لقد غبنت مجموعات اجتماعية عراقية عديدة ، تعد تشكيلاتها مؤسسة لبنية المجتمع العراقي اليوم .. نعم ، غبنت طويلا من قبل الدارسين والعلماء والمؤرخين العراقيين الذين كتبوا عن حياة المجتمع العراقي ، دون التطرق إلى تفاصيل أولئك الناس الذين لم يكونوا مجرد أصفار على الشمال ، بل امتازوا بحيويتهم وجهودهم وخصالهم التي أسدوا من خلالها خدمات كبيرة الى المجتمع على امتداد تاريخ طويل .. ومنهم الأرمن الذين لهم تاريخ حافل بالمنجزات والسمعة الحسنة ، وكانوا على الدوام من الناس الحاذقين والمهرة .. صحيح أن لهم خصوصيتهم ، شأنهم شأن أي تكوين اجتماعي آخر ضمن حلقة المجموعات الأخرى ، إلا أنهم كانوا من المسالمين الذين ندرت مشاكلهم نتيجة تماسكهم الاجتماعي ، والفتهم وتجانسهم مع بعضهم الاخر في المدن العراقية التي سكنوها ، ولكنهم دفعوا أثمانا غالية في وجودهم كعراقيين ، وهم يحتفظون بالجميل الذي أسداه لهم العراقيون الأوائل عندما فتحوا أبوابهم لهم ، فتعايشوا مع الجميع من دون أية نعرات خلاف ، ولا أي اتكالية على الآخرين في كسب رزقهم مع دوام العلاقة الرائعة بينهم وبين الآخرين ، فضلا عن تمسكهم بوطنهم العراقي ، وعدم إثارتهم لأية مشاكل سياسية أم اجتماعية . صحيح أن العراق استقبل الأرمن الذين جاءوا إليه بعد تشردهم وإفنائهم في موجتين للنزوح من تركيا شمالا واستوطنوا العراق ، ولكن ثمة حقائق تاريخية تؤكد أن هناك من الأرمن من كان له وجود في العراق منذ القدم ، بل وان بعضهم قد استوطن العراق منذ العصور الوسطى فثمة معلومة تقول بأن أبرشية للأرمن قد أنشأت في البصرة١٢٢٢م ، وان آخرين من الأرمن قد استوطنوه عبر تضاعيف العصر الحديث.

2/ مصادر المعلومات ومراجع البحث

إن الأرمن جزء حيوي في بنية المجتمع العراقي الذي نتدارس اليوم تشكيلاته بكل ألوانه وأطيافه التي ينبغي تدارسها بمنتهى الموضوعية والحيادية والأمانة العلمية وبمنهجية واضحة والاعتماد على مصادر موثوقة لا مراجع تافهة . لقد اعتمدت على عدة مصادر وكتابات وشواهد وذكريات ومعلومات رسمية وكنسية أرمنية في كتابة هذا " الموضوع " الذي تندر المراجع عنه بالعربية ، ولقد أسعفتني مقالة الكاتب والمؤرخ الارمني آرا اشجيان عن الأرمن العراقيين ، والرجل ارمني عراقي يقطن اليوم في أرمينيا ، وقد ساعدتني مقالاته كثيرا ، فضلا عن مصادر مهمة كتلك التي نشرها صائغيان ، أو التي كان قد حكاها لي الدكتور الراحل حنا جقماقجيان مع معلومات عدة أسدتها لي عائلته الكريمة . إضافة إلى معلومات الدكتور الموسيقار فريد الله ويردي قبل سنوات طويلة مضت . لقد استفدت أيضا من كتابات المؤرخين الأرمن ، وأشهرهم : يعقوب سركيس ونرسيس صائغيان ورازميك سيمونيان .. إضافة إلى بعض الكتب بالتركية والانكليزية ، ووقع بيدي مؤخرا ما كتبه كل من الصديقين الكاتبين ليث الحمداني في تعقيبه على واثق الغضنفري ، فأكبرت جهدهما الوطني .. كما قمت بعدة اتصالات مع السيدة الفاضلة دكرانوهي طوقاتليان وولدها الصديق العزيز ميناس جاقماقجيان وقد أرسلوا لي بمعلومات قيمة جدا ، وخصوصا عن أوضاع الأرمن العراقيين في هذه الأيام العصيبة . فلهم كل الشكر والعرفان .

صورة لارمن عراقيين عام ١٩٢٠

الارمن العراقيون : الجذور والاغصان

1/ من الماضي القديم حتى اليوم

الأرمن ، شعب عريق ينتمي إلى الآريين ، وقد عرفوا في المناطق الشرقية والوسطى من آسيا الصغرى (= الأناضول) منذ الألف الثالثة ق.م. وكانت لهم إمبراطوريتهم القديمة التي امتدت في شرق الأناضول حتى سواحل البحر المتوسط ، وان لهم تاريخهم العريق في منطقة الشرق الأوسط ، ولهم دورهم التاريخي الذي أخذ بالأفول نتيجة التحديات الكبرى التي تعرضوا لها . والأرمن من المسيحيين القدماء جدا ، واندمج مذهبهم بقوميتهم اندماجا قويا ، وبقوا يعتزون بذلك ، ويدافعون عنه دفاعا مستميتا . صحيح ان لهم جمهوريتهم الأرمينية اليوم ، والتي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي قبل تفككه ، الا أنهم ينتشرون على رقعة واسعة من الأرض المزدحمة بمختلف الأعراق القديمة .. ولقد تعرضت مناطقهم واوطانهم الى موجات اكتساح عدة من قبل إمبراطوريات قديمة ، ويشير المستشرق الفرنسي المعروف غوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " إلى أن الأرمن القدماء قد سجلوا في سجلاتهم الكنسية وتناقلوا في موروثهم بأن تاريخهم لم يعرف ارحم من العرب في تعاملهم مع الأرمن إبان الامتدادات العربية الإسلامية الأولى .

نعم ، لقد تعرّضوا إلى تحديات كبرى سواء من خارج مملكتهم ، ام من داخلها بحكم صراعات السكان المحليين المتنوعين.. ولعل أشهر المجازر ، تلك التي حدثت بحقهم بين ١٨٩٤- ١٨٩٦ إبان حكم الدولة العثمانية ، تلتها مجازر ١٩١٥-١٩٢٣ والتي انتهت بتأسيس الجمهورية التركية على يد الغازي مصطفى كمال أتاتورك . لقد تشرد الآلاف من الأرمن في بلدان عدة من الشرق الأوسط ، وخصوصا العراق وسوريا ولبنان ومصر .. لقد وصل عدد الأرمن في العراق بعد المجازر المريعة التي تعرضوا لها إلى ٢٥-٣٠ ألفا.. وسكن الأرمن المُهجَّرون في البدء مدينة الموصل، ونزح قسم منهم إلى بعقوبة، ثم سكنوا في منطقة نهر عمر قبل أن يقطنوا مناطق مختلفة في العراق، فيما هاجر قسم آخر منهم إلى خارج العراق.

إن الغالبية العظمى من الأرمن العراقيين اليوم هم أحفاد وأولاد أولئك القدماء من القاطنين الأوائل ، أو من صلب هؤلاء المُهجَّرين الجدد الذين أصبحوا عراقيين بعد أن توطنوا العراق وعشقوا الحياة العراقية وعملوا من اجل تطوير اقتصادياته المتباينة . ويتراوح عدد الأرمن في العراق حالياً بين ١٨-٢٠ ألف نسمة يسكنون بغداد والبصرة وكركوك والموصل وزاخو ومناطق أخرى من العراق . ونقلا عن السيدة دكرانوهي طوقاتليان أن امّها التي وصلت مع المهاجرين المشرّدين حكت لها ، وكانت شاهدة عيان بأن المهاجرين الأرمن عندما وصلوا إلى الموصل ، استقبلتهم العوائل الموصلية بسلال من الخبز والحلاوة .

2/ الشخصيات التاريخية

يفتخر الأرمن العراقيون بشخصيات أرمنية مهمة جدا خدمت العراق تاريخيا ، وبانجازات حققوها في الماضي ويستمرون في تحقيقها في الحاضر. وقد ورد في تاريخ العراق أسماء عدة ملوك وحكام حكموا العراق ، وكانوا من أصول ارمنية منذ القدم ، وصولا إلى العصور الوسطى ، وخدم بعضهم مع القادة العرب المسلمين ، وكانوا من الأمراء الأرمن الذين عرفوا بمصداقيتهم ونزاهتهم وأنشطتهم التطبيقية في كل الميادين ، فضلا عن جعل بعضهم مساعدين ، وكانت لهم صلاحياتهم التفويضية في شؤون العراق إبان العصور العباسية ، ويذكر أن أصل كل من السلطان بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل في القرن الثالث عشر الميلادي كان ارمني الأصل ، أي في نهاية العهد الاتابكي ، وكان الرسام الشهير الواسطي الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي أرمني الأصل

أيضا . ويعد يعقوب أميرجان ، وهو بغدادي المولد ، من الشخصيات الأرمنية البارزة ، وأسدى خدمات كبرى للعراق عند قيادته مجموعة من رجال البصرة للدفاع عن بغداد والمحافظة عليها ، والقتال دفاعا عنها ، حينما حاصرها طهماسب قولي خان مع جيوشه عام ١٧٣٢ . وترد أسماء شخصيات أرمنية عراقية شغلت عدة مناصب ببغداد إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ومنهم : بيدروس كوركجي الذي كان رئيسا للفرائين .. ويوسف كيفورك رئيس الصيارفة ، وستراك بوغوصيان المفتش العام للبنك العثماني. أما التاجر الأرمني المعروف نعوم سركيس فكان أول من سكن الشطرة وشجع الناس للسكن فيها.

العراق وارمينيا : حفريات لروابط جيو تاريخية

تشير الحفريات التاريخية الى ان العراق وارمينيا كانت بينهما علاقات قديمة جدا ، نظرا لاقترابهما بعضهما من الآخر جغرافيا .. وان العلاقات بين الطرفين تعود إلى العصور القديمة تاريخيا . قلت في كتابي " العثمانيون وتكوين العرب الحديث : من اجل بحث رؤيوي معاصر والمنشور ببيروت ١٩٨٩ " إن كلا من العراق وأرمينيا كانا ساحتي صراع بين الإمبراطوريات المتصادمة في الشرق الأوسط .. منذ القدم وحتى الصراع العثماني . الإيراني الذي استمر أربعة قرون كاملة منذ بدايات القرن السادس عشر وانتهاء ببدايات القرن العشرين . كما استطعت أن أتحقق جغرافيا في كتابي الآخر " حصار الموصل .. المنشور عام ١٩٩٠ " من استخدام المسلك التجاري الذي كان يربط ارمينيا بالعراق من خلال مسالك الموصل التجارية نهرا وبرا عبر الجبال باتجاه بحيرة وان .

لقد استقر العديد من الأرمن في بلاد ما بين النهرين بتأثير امتدادات دجلة والفرات تجاريا في مختلف العهود ، إذ وجدت كنائسهم معهم منذ العصور الوسطى .. وزاد توّطن الأرمن في العراق إبان العصر الحديث ، أي في القرون الخمسة الأخيرة ، وخصوصا منذ القرن السابع عشر ، كما تشير المصادر التاريخية إلى ذلك ، ويشير الخوري ناريك اشخانيان راعي كنيسة الأرمن الأرثوذكس في العراق : إن أول هجرة للأرمن إلى العراق كانت من مناطق إيران إلى البصرة فبغداد، ثم الموصل في بدايات القرن السابع عشر. ووجدنا كم استقر من الأرمن في الموصل والبصرة خصوصا في القرن الثامن عشر .. وشاركوا العراقيين معاناتهم مرورا بالقرنين التاسع عشر والعشرين . ومع وجود بقايا من الأرمن العراقيين منذ القدم ، إلا أن العراقيين استقبلوا الأرمن النازحين منذ بدايات القرن العشرين ، وكانوا حماة لهم بعد أن نفروا خفافا وثقالا اثر المذابح الدموية التي تعرضوا لها في شرق تركيا وخصوصا في العام ١٩١٥ . (لقد أطلعني طبيب الأسنان الراحل الدكتور حنا جاقماقجيان عندما كنت طالبا في الجامعة على مجموعة صور قديمة منها ما نشر ومنها ما لم ينشر عن ركامات من جثث القتلى الأرمن الذين راحوا ضحايا تلك المجازر البشعة التي كانت تمثل حربا عرقية بين السكان المحليين المختلطين وهم من الترك والأرمن في شرقي الأناضول) . ويقول اشكانيان : " نحن مدينون للعرب، فقد فعلوا ما باستطاعتهم للترحيب بنا، كما سمحوا لنا بالعمل والترقي في المراتب الاجتماعية بعد أن وصل الناجون من (المذابح)، وغالبيتهم من اليتامى، حفاة إثر فرارهم في متاهات الصحراء هربا من الموت " .

أما في مجال التجارة، فقد أخذ التجار الأرمن يتواردون من اسطنبول إلى العراق منذ بدء الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، بفعل الحراك الاقتصادي وقوة الأسواق الدولية التي ازدهر العراق بها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وينقل الكاتب الارمني آرا اشجيان قول جان باتست روتسو قنصل فرنسا في بغداد في كتابه المعنون: (Description du pachalig de Bagdad)، ما يأتي: "إن نصارى بغداد سواء كانوا كاثوليكا أو غير كاثوليك يعيشون عيشة عديمة الرّفاه وهم يتعاطون البيع والشراء الداخلي ويزاولون مهنة الطباعة على الأقمشة (البصم) وغيرها من المهن اليدوية. وأما العدد اليسير من التجار ذوي اليسار فيهم فمعظمهم أرمن من استانبول قد اغتنوا بمعاطاة التجارة بالأحجار الكريمة والشال مع إيران والهند". ويتابع أشجيان كتابته قائلا : " لا غرو في ذلك، لأن الأرمن على ما قاله السائح الفرنسي المدعو بيتون دي تورنيفور: ليسوا أسياد تجارة الشرق فحسب، بل لهم شطر وافر في تجارة أعظم مدن أوروبا " . ويتابع ما تحدث به الرحالة الانكليزي جاكسون عن أن الأرمن هم الذين يتحكمون في الاقتصاد والتجارة في بغداد، وأن النحاس الذي كان يبعث من قبل التجار الأرمن من الموصل الى بغداد والبصرة كان من النوع نفسه الذي يجري صنعه في انكلترا. ويتحدث عن مشاهداته في المدينة بالقول:" وتوجد فيها سوق واسعة مزودة بمختلف أنواع المواد ... والأرمن هنا يؤلفون التجار الرئيسيين والمعامل المستعملة في بغداد قليلة وهي محدودة .. ويبعث الأرمن الموجودون في الموصل عن طريق دجلة بكميات كبيرة من النحاس تنقل في أرماث من الأخشاب التي تشد إلى بعضها بعضاً ومتى وصل الرمث إلى بغداد يبيعت أخشابه فيها لأنها جد نادرة هناك .ومن ثم يشحن النحاس إلى البصرة في سفن شراعية ..ويكون النحاس ...من نفس النوع الذي يجري صنعه في انجلترا. إن هذه التجارة التي لم يكن أحد قبلاً يمارسها قد ازدادت بسرعة فغدت تجري بنطاق واسع ...وأنا مقتنع أن هذه السلعة ستثير بمرور الوقت سخط أصحاب المعامل الانجليزية. فالعمل في هذه البلدان أقل نفقة بكثير مما هو عليه في أوروبا، وهذا مما يساعد الصناع على نقل مصنوعاتهم إلى السوق بسعر أرخص ويهيئ ربحاً أوفر للمشتغلين فيها".وكان الأرمن، مع اليهود، يشكلون غالبية موظفي الشركة الانكليزية التي تحولت إليها ملكية شركة بغداد للقوة الكهربائية بعد الاحتلال البريطاني للعراق في عام ١٩١٧. اضيف الى ذلك ما ذكره العديد من الرحالة والآثاريين الذين جاسوا عدة مناطق من الشرق الاوسط ابان القرن التاسع عشر ، وخصوصا اولئك الذين امتدوا برحلاتهم في شرقي تركيا وغربي ايران والعراق بصدد الارمن ومشكلاتهم الاجتماعية مع غيرهم من سكان المنطقة والتي قادت الى صراعات لا ترحم ، وكان من نتائجها ان استؤصل الارمن عن اوطانهم ومدنهم وفر الناجون الى من يحميهم .

لقد استقر العديد من الأرمن في بلاد ما بين النهرين بتأثير امتدادات دجلة والفرات تجاريا في مختلف العهود ، إذ وجدت كنائسهم معهم منذ العصور الوسطى .. وزاد توطن الأرمن في العراق إبان العصر الحديث ، أي في القرون الخمسة الأخيرة ، وخصوصا منذ القرن السابع عشر ، كما تشير المصادر التاريخية إلى ذلك

ذاكرة عراقية

الارمن العراقيون : كنائسهم ومدارسهم وجمعياتهم ونواديهم

1/ الكنائس

انهم تكوين مستقل عن المسيحيين العراقيين سواء كانوا كلدانا ام سريانا ام آثوريين ، ومستقلين مذهبيا ايضا ، فلهم كنيستهم الارثودكسية وكنيستهم الاخرى الكاثوليكية . وتتوزع كنائسهم العديدة في ابرز المدن العراقية التي سكنوها ، ومن اشهر تلك الكنائس في بغداد ، كنيسة القديس كرابيت للارمن الارثودكس في منطقة كمب سارة ، وكنيسة القلب الاقدس للارمن الكاثوليك في الكرادة الشرقية ، وكنيسة القديس كريكور للارثودكس في الباب الشرقي ، وكنيسة الارمن في الجادرية ، وكنيسة سيدة الزهور للكاثوليك في الكرادة ، وكنيسة مريم العذراء للارمن في الميدان وتعد هذه الاخيرة من اقدم الكنائس الارمنية ببغداد . وتوجد كنيسة قديمة لهم في الموصل واخريات في كل من البصرة وكركوك وزاخو .. وقد افتتحت كنائس جديدة لهم ، ولكنها تعرضت لتفجيرات خلال السنوات الاخيرة من قبل ارهابيين .

2/ المدارس

وللارمن مدارسهم الخاصة باولادهم وبناتهم ، اذ أنشأت أول مدرسة أرمنية في بغداد عام ١٨٥٢ باسم (تاركمانجاتس وتعني : المترجمون) . وأول مدرسة للبنات افتتحت من قبل الطائفة الأرمنية في العراق عام ١٩٠١، وكذلك أول روضة منفصلة عن الابتدائية سنة ١٩١٣. وفي عام ١٩١٧، دمجت مدرسة البنات مع (المدرسة الزابيلية) الأرمنية، لتتكون منهما أول مدرسة مختلطة في العراق . وفي عام ١٩٢١، افتتحت مدرسة للأرمن في منطقة كمب الكيلاني ببغداد سميت لاحقاً (مدرسة سفاجيان). وقد دمجت مدرستا (تاركمانجاتس) و(سفاجيان) عام ١٩٤٨ لتتكون منهما (مدرسة الأرمن المتحدة الأهلية) ، وكانت تضم صفوفاً وطلبة من كلا الجنسين في المراحل الدراسية من الروضة وحتى الإعدادية، والتي استمرت حتى عام ١٩٧٤، حينما جرى تأميم جميع المدارس الأهلية في العراق. وتقول احدى الدراسات انه أعيد افتتاح (مدرسة الأرمن الابتدائية الأهلية المختلطة) في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤. وهناك مدرسة قديمة خاصة باسم مدرسة الأرمن بالموصل وتقع في الدواسة قرب حديقة الشهداء . وكانت هذه المدرسة الخاصة قد بنيت بجهود ارمنية ، وأموال أهلها الأرمن ، ومن دون مساعدة من أي شخص أو دولة ... بنيت بالتبرعات الارمنية آنذاك لحين أن تمّ تأميمها ، وكان مديرها بارون اردافارست ومساعده بارون خاجيك . هنا يتساءل المرء : بأي حق تؤمم مؤسسات خاصة تبرع بها الأهالي ، ولم تكن الدولة قد صرفت عليها فلسا واحدا ؟ وليس هذه المدرسة وحدها فقط ، بل كان هناك مدارس أخرى لهم في بعض المدن العراقية . وفي العراق أسس طلاب مدرسة الارمن (سيفاجيان) الأهلية أول فرقة كشفية في البلد عام ١٩١٩ وقدموا عرضا تضمن تمثيليات وبعض الألعاب ، ويذكر أن اودايس اوهانيسيان قد لعب دورا مهما في ذلك . وللعلم ، فإن أول طالب عراقي حصل على مجموع ٥٩٩ من ٦٠٠ في الامتحانات العامة للدراسة الإعدادية الثانوية (الصف السادس العلمي) كان الأرمني زافين بانوسيان، وذلك في العام الدراسي ١٩٨٢-١٩٨٣

3/ الجمعيات

وللارمن في العراق جمعياتهم الاجتماعية والثقافية والرياضية ، اذ جرى منذ العام ١٩١١ ، تأسيس الجمعية الخيرية الارمنية العمومية في بغداد ، ثم اغلقت واعيد افتتاحها عام ١٩٥٩ ، وكانت تضم فرقة للغناء الفولكلوري الارمني .. كما كانت جمعية الشبيبة الارمنية الارمنية قد تأسست منذ العام ١٩٢٦ ، وانبثقت عنها عام ١٩٥٤ فرقة كورال (كوميداس) للغناء الفولكلوري الارمني ، واشتهرت بعروضها الرائعة في الخمسينيات . مع جمعية ثقافية في البصرة فضلا عن جمعيات خيرية في كل من الموصل وبغداد والبصرة .. أما النادي الرياضي الارمني (الهومنتمن) ، فقد تأسس عام ١٩٤٩ . وتأسست الجمعية الثقافية لنساء الأرمن عام ١٩٦١ .. وكان لهذه الجمعيات والنوادي حرياتها في ممارسة أدوارها الثقافية والحضارية بإقامة الأمسيات الثقافية والاجتماعية والعروض والمهرجانات الرياضية من دون أية معوّقات أبدا .. وحقق بعضها انجازات مهمة باسم العراق مهمة. وقد رفد الارمن العراقيون انفسهم وعلى مدى سنوات طوال بالثقافة الخاصة بهم ، وخصوصا خلال النصف الاول من القرن العشرين ، فبرز منهم نخبة من المختصين والمثقفين والمبدعين الذين ساهموا مساهمات حقيقية في خدمة المجتمع العراقي في حقول مختلفة ، حتى بدأ التضييق عليها لاحقا .

4/ المطبعة والصحف الأرمنية

كانت أول مطبعة أرمنية قد تأسست في بغداد عام ١٨٧٤، والتي من خلالها ، طبعت كتب المناهج المدرسية وصحيفة بونج بعد صدورها عام ١٨٩٠ [١٦]. لقد اصدر الأرمن العراقيون عدة صحف ونشرات وأدلة عمل ، إذ صدرت في بغداد عدة صحف أرمنية، منها صحيفة مدرسية مطبوعة باسم (بونج : تعني الباقة) منذ عام ١٨٩٠ ، واستمرت تصدر على مدى سنتين. ثم صدرت صحيفة (تايكرس : أي دجلة) عام ١٩٢٤ ، ولكنها توقفت بعد بضعة إصدارات. ثم صدرت صحيفة (كوياماراد : تعني صراع الوجود) الأسبوعية للفترة ١٩٤٨-١٩٥٤، وأعيد نشرها للفترة ١٩٥٧-١٩٥٨. وكانت مدرسة الأرمن المتحدة الأهلية تصدر صحيفة (كايدز) (أي : الشرارة) المدرسية ، مع إصدار الكتاب السنوي باسم (ماشدوتس). كان هذا " الكتاب " قد وثق الحياة المدرسية بكل أنشطتها وفعالياتها وحياة الجماعات الارمنية في العراق منذ ستينيات القرن الماضي وحتى تأميم المدارس الأهلية في العراق عام ١٩٧٤.. واليوم ، لا توجد للأرمن العراقيين أية صحيفة تعبر عن ذاتهم ، باستثناء نشرات تصدرها مطرانية الأرمن الارثودكس في العراق باسم (كانتيغ) (تعني : القنديل) إلى جانب نشرات أخرى متفرقة

ارمن في كردستان العراق

بدايات الجمعيات الفنية في العراق

عباس الزاملي

نشطت الحركة الفنية في بغداد في الأربعينيات وقد تجسد هذا النشاط بازدياد عدد الجمعيات والفرق التمثيلية، التي كان من أشهرها:

جمعية أنوار الفن

أسست جمعية أنوار الفن في ٢٢ آب ١٩٤٠، وتألفت هيأتها الإدارية من توماس حبيب رئيساً، ورؤوف توفيق مديراً للإدارة، وسليم بطي سكرتيراً، وجوزيف عجاج محاسباً، فضلاً عن الأعضاء: صلحي مصطفى وإسماعيل حقي ولويس توماس وإسماعيل الامين ومجيب حسون واسماعيل ابراهيم الشيخلي، وقامت بتمثيل مسرحيات عدة كانت من أهمها مجنون ليلى، عبد الرحمن الناصر، الهارب البخيل، انتقام المهارجا، الروح الشريرة، رصاصة في القلب وطعنة في القلب، لم تستمر طويلاً اذ حلت بعد سنتين من تأسيسها.

فرقة بغداد

تشكلت فرقة بغداد عام ١٩٤٣، وكانت الهيئة الإدارية التي قامت بإدارتها قد تألفت من: فاضل عباس رئيساً، وعبد الله العزاوي مديراً فنياً، وكان من أعضائها الإداريين صبري الذويبي ومحيي الدين محمد، وقدمت مسرحيات عدة منها: (عبد الستار أفندي، هارون الرشيد، وحيدة، المجنون) وتوقفت عن العمل في نهاية عام ١٩٤٥.

جمعية إخوان التمثيل والسينما

أسست هذه الجمعية عام ١٩٤٥، وكانت أول هيئة إدارية لها تألفت من: محمد حسين البصام رئيساً ثم حل محله احمد حمدي، وعلي العزاوي سكرتيراً، وعلي النعيمي امينا للصندوق، وقد قدمت عدداً كبيراً من المسرحيات التي نالت استحسان الجمهور منها على سبيل المثال (لقيط الصحراء، الأب، جريمة بلا عقاب، ملاك في الجحيم، الفاجعة، شهداء في سبيل التاج، ثريا، انتقام الازبيريا) توقفت هذه الجمعية في العام نفسه.

الجمعية الفنية للتمثيل والسينما

أسست هذه الجمعية عام ١٩٤٦، وتألفت هيأتها الإدارية الأولى من الفنانين (عباس العبيدي رئيساً، وزكي السامرائي نائباً له وإبراهيم شاكر سكرتيراً) واتفق الأعضاء المؤسسون على عدم تمثيل المسرحيات في الملاهي، بهدف اجتذاب بعض البغداديين الذين يأنفون دخول الملاهي ترفعاً منهم، لانطباعهم السيئ عنها، وقد أغنت هذه الجمعية الحركة المسرحية بإنتاجها الذي تناول موضوعات متنوعة، ومن اهم مسرحياتها (رسول النبي إلى هرقل، الحجاج والفتية الثلاثة، شهداء الوطنية، يوم الجلاء في سوريا، نهاية مجرم) واستمرت بالعمل حتى عام ١٩٥٤.

جمعية النهضة الفنية

لقد أسهم تخرج الدورة الأولى وهم كل من: إبراهيم جلال، جعفر السعدي، أكرم جبران، عبد الستار البصام، محمد أمين توفيق الجلبي، فوزي الباياسي، عبد الأمير سلمان، عبد الامير علوش، عبد الكريم هادي الحميد، محمد نايف الشبلي، محمد كريم، وإحسان سامي، حامد القاضي، ومحمد حسين زوين، وقدموا مسرحيات عدة منها: (الحاكم بأمر الله، مشاهد من جنون ليلى، ومسرحية قمبيز، والبخيل، والطيب رغماً عنه، والثري والنبيل وصلاح الدين الايوبي، وكانت تعرض على قاعة الملك فيصل الثاني (قاعة الشعب حالياً) وتنقل إلى الإذاعة.

فقد اسهم تخرج هذه الدورة من معهد الفنون الجميلة في انتعاش الحركة الفنية، وتأسيس جمعيات جديدة منها جمعية النهضة الفنية التي شكلت في كانون الثاني ١٩٤٦، وتألفت هيئتها الإدارية من صائب الجصاني رئيساً، ومحسوب العزاوي سكرتيراً، وعدنان القيسي أمينا للصندوق والأعضاء هنري غنام، ومحمد رشيد الزيدي، وامتازت هذه الجمعية بحسن تنظيمها ورقي فنها الذي عالج موضوعات اجتماعية مختلفة، ومن أهم مسرحياتها (الزوجة الخائنة، الاعتراف، جريمة الآباء، دموع البائسة، وحيدة، قاتل اخيه وجنفيات، في سبيل التاج، مصرع يوليوس قيصر) ولم تكتف بعرض هذه المسرحيات في بغداد وإنما سافرت الى المدن العراقية الأخرى استمرت بالعمل حتى عام ١٩٥٤.

الفرقة الشعبية للتمثيل

أسست هذه الفرقة في عام ١٩٤٧، وكان تشكيلها يمثل انعطافاً جديداً في مسيرة الحركة المسرحية في العراق، وبداية انطلاقة جديدة في النشاط الفني، فقد تميز اعضاؤها بثقافة فنية عالية لاسيما خريجو معهد الفنون الجميلة، وكان من ابرزهم ابراهيم جلال، وعبد الجبار توفيق ولي، وعبد الله العزاوي، وعبد القادر توفيق، وعبد الستار فوزي وعبد الكريم هادي وخليل شوقي وصفاء مصطفى، وجعفر السعدي، ومن اهم اعمال هذه الفرقة تمثيلها مسرحية شهداء الوطن في عام ١٩٤٨، للكاتب الفرنسي فكتوريان ساردو التي قام باخراجها ابراهيم جلال، ومثلها (عبد الجبار توفيق وتقي البلداوي، وصلاح الدين توفيق، وجواد الساعدي، وفائق عارف القمايجي...) استمرت بالعمل حتى نهاية العهد الملكي.

تميزت الفرقة الشعبية بوفرة إنتاجها من المسرحيات الاجتماعية، التي أظهرت حقائق ومعلومات، استمد بعضها من طبيعة المجتمع البغدادي ومعاناته، ومن أهمها مسرحية (الفلوس) للكاتب التركي نجيب فاضل عام ١٩٥٢، ومسرحية (القبلة القاتلة) عام ١٩٥٣، وفي عام ١٩٥٥ عرضت ثلاث مسرحيات هي: (صرخة الألم، والملاح، والبائس) وعرضت في عام ١٩٥٦ مسرحيتين هما (المورد المسموم، أيريد يعيش)، وكانت هذه المسرحيات من إخراج جعفر السعدي الذي اختير بعد نجاح تلك المسرحيات في البعثة العراقية الى الولايات المتحدة الاميركية للتخصص في الإنارة المسرحية والسينمائية، وسافر السعدي في آب ١٩٥٧ إلى الولايات المتحدة الاميركية، وقد تخصص في الاخراج المسرحي لعدم وجود فرع الإنارة المسرحية والسينمائية واستمرت الجمعية بالعمل حتى نهاية العهد الملكي.

سينما الوطني

جمعية جبر الخواطر

وشهدت نهاية الأربعينيات ظهور بعض الجمعيات المتميزة في إنتاجها الفني، لاسيما جمعية جبر الخواطر، التي تأسست عام ١٩٤٨، وتألفت هيئتها الإدارية من يوسف العاني وشهاب القصب وعبد المنعم الجادر، مثلت هذه الجمعية المسرحيات التي كتبها العاني وكان من أهمها: (في مكتبة محامي، مع الحشاشة، طبيب يداوي الناس، محامي نايلون، مجنون يتحدى القدر، موخوش عيشة، أم حسين)، وكانت هذه المسرحيات تمثل المفارقات الاجتماعية السائدة في المجتمع البغدادي في تلك الحقبة، استمرت بالعمل حتى عام ١٩٥٤.

فرقة المسرح الحديث

وفي بداية الخمسينيات تألفت عدة فرق فنية قامت بتنمية الوعي الفني والاجتماعي من خلال تقديم المسرحيات وكان من أهم هذه الفرق فرقة المسرح الحديث التي تأسست عام ١٩٥٢، وتألفت هيئتها الإدارية: من إبراهيم جلال رئيساً، يوسف العاني سكرتيراً، عبد الرحمن بهجت محاسباً ويعقوب الأمين عضواً وانضم إلى الفرقة فيما بعد مجيد العزاوي وحميد قاسم ومحمد القيسي وراسم القيسي وفوزية قطان وسامي عبد الحميد وشكري العقيدي.

ومن الجدير بالذكر أن شخصية يوسف العاني قد برزت على الساحة الفنية في بداية الخمسينيات وأصبح أكثر أعضاء فرقة المسرح الحديث إنتاجا فقد كان مؤلفاً للمسرحيات وممثلاً وناقداً لها في آن واحد، ورفد الحركة الفنية بسلسلة من المسرحيات ذات المغزى الاجتماعي الهادف عالج فيها هموم المجتمع ومعاناته بأسلوب انتقادي ساخر، وكان من أهمها: (رأس الشليلة عام ١٩٥١، وحرمل وحبة سودة عام ١٩٥٢، وأكبادنا، وتؤمر بيك عام ١٩٥٣، وفلوس الدوة، وست دراهم عام ١٩٥٤، ايراد ومصرف)، وقد ذكر عند عرضها انها من تأليف محمد يونس وعلى اثر هذه المسرحيات سحبت إجازة الفرقة من قبل وزارة الداخلية.

فرقة المسرح الحر 1954

أسست هذه الفرقة عام ١٩٥٤، وكانت هيئتها الإدارية الأولى تتألف من: باسم جاسم العبودي رئيساً وعضوية كل من: صفاء مصطفى، وعبد الرحمن فوزي، يوسف العاني، وشكري العقيدي ثم التحق بهم عبد الواحد طه، وقاسم محمد، وكارلو هارتيون، وبعض طلاب معهد الفنون الجميلة، وتعرضت الفرقة إلى مضايقات وزارة الداخلية التي قامت بسحب إجازتها ثم سمحت لها بالعمل في عام ١٩٥٦، بعد نفي بعض أعضائها المؤسسين لاسيما جاسم العبودي ويوسف العاني وكان من أشهر مسرحياتها: (الغرفة المشتركة، وأصدقاء، والخبر المسموم) استمرت بالعمل حتى نهاية العهد الملكي.

فضلاً عن تلك الفرق المنوه عنها كانت هناك فرق أخرى محدودة في نشاطها ومقتصرة على التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية مثل: فرقة الزبانية، والنهضة العربية، وفرقة عشتروت، وفرقة يحيى فائق وجمعية رعاية الآداب والفنون.

سينمات بغداد في عهدها الأول

للسينما أهمية كبيرة في حياة الإنسان ولها أبعادها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكانت تعد إلى عهد قريب من وسائل التسلية الشعبية، التي تركت آثارها البارزة في المجتمع البغدادي.

لقد عرف البغداديون السينما الناطقة في بداية الثلاثينيات عندما عرضت سينما الوطني في يوم عيد الفطر الموافق ١٩ شباط ١٩٣١ الفيلم الغنائي (ملك الموسيقى) فكان هذا حدثاً مهماً في تاريخ السينما في العراق، إذ انبهر جمهور المشاهدين لهذا الحدث غير الاعتيادي، الذي أدى إلى انحسار الأفلام الصامتة تدريجياً وأفولها بعد أن كانت هي السائدة على شاشات العرض السينمائية، فأصبح لهذا النوع من السينما روادها المعجبون بها، مما حفز على التوسع بإنشاء دور جديدة للعرض السينمائي في مدينة بغداد.

ويمكن القول إن إدارات دور العرض السينمائية كان معظمها تابعة للقطاع الخاص الذي اظهر نشاطاً ملموساً منذ بداية الثلاثينيات في إنشائها، ومن أهم تلك الدور السينمائية هي:

١.سينما الرافدين: أسست عام ١٩٣٢ تقع في شارع الرشيد.

٢.سينما الملك غازي: أسست عام ١٩٣٤ من قبل نعيم شاؤول العزيز، وتقع في الباب الشرقي في رأس شارع الملك غازي، كان عدد مقاعدها (١٠٥٠) في الصالة و ١٥٨٠ في البلكون وفيها (٢٥) لوجا عدد مقاعد اللوج الواحد فيها (٤) مقاعد.

٣.سينما الحمراء: يرجع تأسيسها إلى عام ١٩٣٥، وتقع في شارع الرشيد بالقرب من جامع مرجان مؤسسها إسماعيل شريف ، عدد مقاعدها (١٠٠٠) مقعداً.

٤.سينما الزوراء: تأسست عام ١٩٣٦ في شارع الرشيد محلة المربعة، وأصحابها، الياس دنوس وسليم شوحيط.

٥.سينما روكسي وسينما ركيس التي تأسست عام ١٩٣٦ في شارع الرشيد بإدارة عبد الجبار

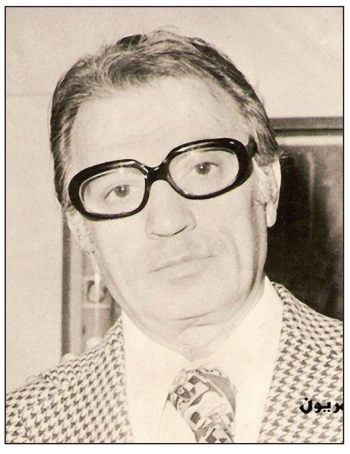

ابراهيم جلال

جعفر السعدي

خليل شوقي

سبع.
وشهد عام ١٩٣٧ تأسيس سينما جديدة في شارع الرشيد عرفت بسينما الرشيد، عدد مقاعدها (١٢٠٠) مقعد، مؤسسها انطوان مسيح وسودائي اخوان، زيادة على ذلك كانت الأفلام السينمائية تعرض في دور العرض الصيفية وقاعات بعض المدارس الثانوية في بغداد لاسيما المدرسة الجعفرية والتفيض، وفي عام ١٩٣٩ اعيد تأسيس سينما الوطني من قبل شركة السينما البغدادية برأسمال قدره (٣٥) ألف دينار تقع في شارع الرشيد في محلة سيد سلطان علي.
وفي الأربعينيات تأسست في بغداد عدة دور للعرض السينمائي كان من أهمها: سينما ديانا التي أنشأت عام ١٩٤٣، وتولى إدارتها صائب الجصاني، وكان عدد مقاعدها (٩٧٦) مقعداً، وفي عام ١٩٤٤، أسست سينما دار السلام من قبل عبد الرزاق الشيخلي في شارع الملك غازي محلة قهوة شكر، وكان عدد مقاعدها (١١٥٠) مقعداً.
وحاولت السفارة البريطانية استخدام السينما كوسائل دعائية لحلفائها إذ اهتمت بعرض الأفلام السينمائية في دور العرض وفي الأماكن العامة.
وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية شهدت بغداد تأسيس دور عرض جديدة بفعل الإقبال المتزايد على السينما التي أصبحت من الوسائل التعليمية والتثقيفية المقبولة لدى قسم من الشرائح الاجتماعية المثقفة إلى جانب أهدافها الترفيهية المعروفة، ومن ابرز هذه السينمات: سينما الارضوملي التي تم تأسيسها عام ١٩٤٦ من قبل قدري الارضوملي وتعد أول سينما في جانب الكرخ، وفي عام ١٩٤٧ تم افتتاح سينما الفردوس وسينما النصر في شارع الملك غازي محلة الهيتاويين، وشيدت في بغداد عام ١٩٤٨ سينما النجوم التي افتتحت عام ١٩٤٩ وتقع في شارع الملك غازي محلة السنك، وتعود ملكيتها إلى حبيب الملاك ويديرها سليم الاطرقجي، تخصصت في بدايتها بعرض الأفلام العالمية ثم عرضت بعد ذلك الأفلام العربية لاسيما المصرية منها وكانت تضيف الفنانين المصريين عند العرض الأول للفيلم العربي في سينمات بغداد لاغراض دعائية.
كانت دور السينما في بغداد في تزايد مستمر فقد بلغ عددها حتى كانون الثاني عام ١٩٥٠ حوالي (٨٢) داراً للسينما منها ٤١ سينما صيفية مكشوفة، وكان معظم هذه السينمات يمتلكها اليهود أو تدار من قبلهم، وافتتحت عام ١٩٤٩ سينما ريجنت في الصالحية بالقرب من تمثال الملك فيصل الأول وفي عام ١٩٥٦ افتتحت سينما الخيام وهي سينما متطورة جداً من حيث مقاعدها ومزينة بالرسوم والصور وتقع في زقاق متفرع من شارع الرشيد.
لقد كانت السينما مثار اهتمام أبناء المجتمع البغدادي على اختلاف فئاتهم الاجتماعية، لذلك تهافتوا على مشاهدة الأفلام السينمائية وارتياد دور العرض، وكان أكثر رواد هذه السينمات هم: التجار والملاكمون والمعلمون وطلبة المدارس والمثقفون والأطفال والنساء على شكل عوائل في لوجات خاصة او يجلسون في المقاعد الأمامية، وتكون اغلب تلك السينمات محتشمة بروادها منتظمة لا يسمح للمتفرجين بالتعليقات البذيئة أو السمجة وفي حالة حدوث ما يخالف الآداب العامة يقوم المسؤولون بإخراج من يسيء السلوك فيها فوراً، وتتوفر فيها النظافة والشروط الصحية وهي خاضعة لمراقبة الدولة، لذلك كانت السينما مكاناً للقاء واللهو البريء المحبب لكل الأسر حيث تجد الأسر ملاذها في الإنس الأسبوعي داخل الصالة، وكانت هذه الظاهرة شائعة في دور السينما في جميع المدن العراقية.
وكانت السينمات تقسم على ثلاث درجات أولى وثانية وثالثة حسب مواقع مقاعدها والواجها (مقصوراتها) وتوفر الخدمات الضرورية فيها وتعرض افلاماً متنوعة في اوقات معلومة لروادها في الساعة العاشرة والنصف صباحاً وفي الساعة الثانية والنصف ظهراً وفي السعة الرابعة والنصف وفي السابعة والنصف مساءً وفي التاسعة والنصف ليلاً.وكانت تستعمل وسائل دعائية لجذب المشاهدين عن طريق الصحافة أو التجول في الشوارع بوساطة بعض المنادين الذين يستأجرون العربات للسير في شارع الرشيد من باب المعظم إلى الباب الشرقي أو يقفون أمام دور العرض ويلفتون الانتباه إلى الأفلام السينمائية لغرض جذب المتفرجين، وتختلف أسعار تذاكر دخول السينمات حسب درجاتها فمثلاً أجرة المقصورة المكونة من (٤) كراسي كان (٥٥٠) فلساً وأجرة كرسي في موقع ممتاز كان يبلغ (١٣٠) فلساً.

الشركات السينمائية في بغداد.. ظهور وأفول

أما بالنسبة لصناعة الأفلام السينمائية في بغداد، فقد بدأت المحاولات الأولى منذ عام ١٩٣٤ عندما كلفت شركة فوكس العالمية للافلام في بغداد الفنان حقي الشبلي لانتاج فلم روائي يقوم ببطولته، يمثل الحياة الاجتماعية وتستعرض به الآثار التاريخية العراقية، وجرت محاولة أخرى من الأخوين حافظ ومصطفى القاضي إذ سافر الاخير عام ١٩٣٨ الى بريطانيا لجلب الأدوات واللوازم السينمائية لإنتاج فلم سينمائي في بغداد، إلا أن هذه الجهود المبذولة في هذا المجال لم يكتب لها النجاح، لكنها كانت ممهدة لمحاولات ناجحة، لذلك بقي القطاع الخاص مستورداً وموزعاً للافلام السينمائية حتى بداية الاربعينيات، وخاضعاً لرقابة السلطات الحكومية التي كانت تصدر قوانين خاصة للرقابة على الافلام السينمائية وتداولها داخل المملكة.
اقدم القطاع الخاص في عام ١٩٤٣ على تأسيس شركته السينمائية الاولى لانتاج الافلام والتي عرفت بـ(شركة افلام بغداد المحدودة)، ابرز مؤسسي هذه الشركة هم: مهدي البصام (تاجر) وحسن حسني (ملاك) وناصر نعيم (تاجر وصاحب معمل)، برأسمال قدره (١٥) الف دينار طرحت منها للاكتتاب (١٢،٦٠٠) سهماً وحدد سعر السهم ديناراً واحداً، لكن الشركة فشلت في انتاج الافلام السينمائية، ولم ينجح الانتاج السينمائي في عمل الافلام في العراق فاستمر مستورداً لها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.
ظهرت صناعة الافلام السينمائية للمرة الأولى في بغداد بعد تأسيس شركة أفلام الرشيد العراقية-المصرية عام ١٩٤٦، التي وفقت في إنتاج فلمها الأول (ابن الشرق) الذي مثل فيه فنانون من العراق ومصر والسودان كان من أبرزهم: عادل عبد الوهاب، وحضيري أبو عزيز، عزيز علي، مديحة يسري، بشارة واكيم، نورهان، وغيرهم، وكان الفلم من اخراج الفنان المصري نيازي مصطفى، وقد عرض خلال أيام عيد الأضحى المبارك سنة ١٩٤٦.
بعد نجاح فلم ابن الشرق، تحفزت شركات سينمائية أخرى لإنتاج الأفلام، منها (شركة أصحاب سينما الحمراء العراقية) التي قامت بالتعاون مع شركة اتحاد الفنيين المصرية، وتمكنت من إنتاج الفلم الثاني بعنوان (القاهرة-بغداد) الذي كتب قصته حقي الشبلي ويوسف جوهر، ومثل فيه من العراق: إبراهيم جلال، وحقي الشبلي، وعفيفة اسكندر، وفخري الزبيدي، وسلمان الجوهر، وعدد من طلبة الفنون الجميلة ببغداد قام بإخراجه الفنان المصري احمد بدرخان وعرض في عام ١٩٤٧.
وعقب نجاح إنتاج الفلمين السابقين (ابن الشرق، القاهرة- بغداد) قامت شركة (أستوديو بغداد للأفلام السينمائية المحدودة)، بإنتاج فلم علياء وعصام الذي مثل فيه الفنانون إبراهيم جلال، وجعفر السعدي، وفوزي محسن ألامين، ويحيى فائق، وعبد الله العزاوي، وسليمة مراد، وعزيمة توفيق.
قام بإخراجه المخرج الفرنسي اندريه شوتان وساعده في ذلك المخرج يحيى فائق وقام بتصويره وعمل الإنارة فيه الفرنسي (جاك لامار)، وجرى عرضه في سينما روكسي في شهر آذار عام ١٩٤٩، وقد أثار عرض هذا الفيلم المشاهدين وملأهم بالإعجاب والدهشة وكتب عنه النقاد والكتاب.
وقامت شركة أستوديو بغداد بإنتاج فيلمها الثاني (ليلى في العراق) الذي شارك في تمثيله الفنانون إبراهيم جلال وعفيفة اسكندر وجعفر السعدي وعبد الله العزاوي، وقام بإخراجه الفنان المصري احمد كامل مرسي وعرضه بسينما روكسي في كانون الاول عام ١٩٤٩.
توقفت شركة الأفلام السينمائية عن الإنتاج في نهاية الأربعينيات، بسبب انسحاب أصحاب رؤوس الأموال إلى مجالات أخرى توفر لهم الربح المضمون، حتى عام ١٩٥٤، إذ قامت شركة أفلام دنيا الفن بإنتاج أول فلم عراقي صميم هو فتنة وحسن، عن قصة وسيناريو وإخراج الفنان حيدر العمر، وجرى عرضه في عام ١٩٥٥، ثم ظهرت محاولات جادة لإنتاج الأفلام السينمائية في مدينة بغداد عند منتصف الخمسينيات، إذ تأسست شركات عدة كان من أهمها: شركة سومر للسينما المحدودة التي اشترك في تأسيسها الفنانون حقي الشبلي، وعبد الجبار ولي الذي أصبح مديرها الفني، وبدأت الشركة بتصوير فلمها الروائي من المسؤول عام ١٩٥٦ وأنجزته عام ١٩٥٧، مثل فيه خليل شوقي وسامي عبد الحميد وفخري الزبيدي ومحمد القيسي وعبد الواحد طه ورضا الشاطي، وقام بإخراجه عبد الجبار ولي وساعده المخرج الهندي (دفيجا) وإبراهيم جلال، الذي بذل جهداً كبيراً في تذليل الصعوبات التي جابهت شركة سومر في الإنتاج.
ومن الشركات الأخرى التي أسست في هذه الحقبة شركة عبد الهادي التي أنتجت في عام ١٩٥٧ فلم (ارحموني) الذي كتب له السيناريو والحوار وقام بإخراجه حيدر العمر عن مسرحية للكاتب المسرحي سليم بطي، ومثل فيه بدري حسون فريد وكامل القيسي وهيفاء حسين ورضا علي ومديحة شوقي ومحسن البصري وقدري الرومي وعبد المنعم الدروبي وياس علي الناصر وغازي التكريتي وسلمى عبد الاحد ومقبولة حسين وغازي السراج وغيرهم.
ويذكر عدنان حبيب الملاك أن الشركة عجزت عن إكمال إنتاج الفيلم، فساعدهم في ذلك والده حبيب الملاك، وعرضه في خمس دور سينمائية عائدة له، وفي وقت واحد، وكان الفيلم قد حقق نجاحاً كبيراً إذ تدافع الناس لمشاهدته لكونه عملاً عراقياً صرفاً، ويبدو انه كان يثير عواطف الناس ويتطرق إلى معاناتهم وبعض مشكلاتهم.
ومن الشركات السينمائية التي تم تأسيسها في بغداد عام ١٩٥٧، شركة (شهرزاد للأفلام السينمائية الملونة) التي قامت بإنتاج الفيلم الملون (نبوخذ نصر)، الذي كتب السيناريو له وأخرجه كامل العزاوي عن قصة كتبها الشاعر خالد الشواف، واضطلع ببطولته سامي عبد الحميد وبدري حسون فريد ونجلى سامي ويعقوب القره غولي، ولم يعرض الفيلم في العهد الملكي، كذلك اسس كاميران حسني وعبد الكريم هادي الحميد شركة اتحاد الفنانين التي أنتجت فيلم سعيد افندي عن قصة لادمون صبري، مثل فيه يوسف العاني وعبد الواحد طه وجعفر السعدي، وقام باخراجه كاميران حسني، ولم تسمح وزارة الداخلية بعرض الفلم حتى شهر شباط من عام ١٩٥٨، وقد أدى عرضه إلى إحداث ضجة وهياج في نفوس عشاق السينما العراقية، وذلك لإثارته بعض القضايا السياسية والاجتماعية بأسلوب فني أودع فيه بطله (يوسف العاني) خبرته الفنية.
يتضح لنا مما تقدم أن للمسرح والسينما دوراً مهماً برز في الحياة الاجتماعية منذ بداية الثلاثينيات وتطور في الأربعينيات والخمسينيات، بعد توفر الكوادر الفنية التي اضطلعت بمهامه بإيجاد مستلزمات خاصة، واستلهام مقوماته من واقع الحياة اليومية لأبناء المجتمع البغدادي، والتعبير عن مشاعرهم وإحساساتهم ومعاناتهم بشكل صادق ومؤثر في النفس الإنسانية مما جعل هذه الفنون مقبولة لدى مختلف الشرائح الاجتماعية التي وجدت في هذه الفنون، ضالتها المنشودة في كشف التناقضات الاجتماعية والفوارق الطبقية ومحاولة معالجتها بأسلوب اجتماعي، فضلاً عن أغراضها الثقافية والتعليمية إلى جانب أهدافها الترفيهية المعروفة.

يوسف العاني

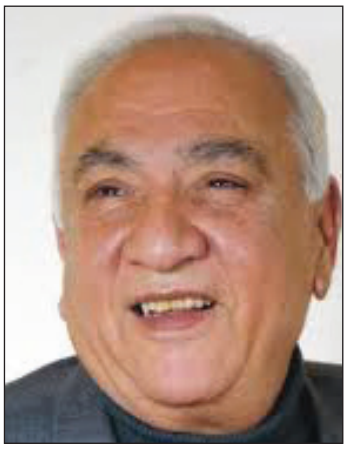
سامي عبد الحميد

معهد الفنون الجميلة عام ١٩٥١

مشهد لاحدى المسرحيات التي قدمت في بغداد

بيع الكتب ببغداد.. تاريخ وذكرى ..

زين النقشبندي

ويذكر السيد شمس الدين الحيدري صاحب المكتبة الأهلية في سوق السراي إن نعمان الأعظمي صاحب أشهر مكتبة في العراق "المكتبة العربية" كان معمماً ثم مطربشاً ثم لبس السدارة في العشرينيات كباقي العراقيين وتفسير ذلك هو أن نعمان الأعظمي كان في بداية حياته قد درس دراسة إسلامية لذلك كان معمماً ثم تخرج فأصبح من طبقة الأفندية فبدأ يرتدي الطربوش بعد سفره خارج العراق.

بعدها أصبح يرتدي السدارة التي جلبها الملك فيصل الأول (رحمه الله) معه إلى العراق وشجع رجال الحكم في العراق والعراقيين عامة على ارتدائها فسميت باسمه (فيصلية).

بداية دخول عالم الكتاب

ذكرنا أن نعمان الأعظمي كان قد فتح محلاً للتجليد وبيع الكتب في سوق السراي، وقد ذكر لنا ابنه المرحوم سلمان الأعظمي إن والده كان من أمهر المجلدين، وقد تدرب وتعلم على يديه وأخذ الصنعة منه العديد من المجلدين، وقد استمر نعمان الأعظمي إلى آخر حياته يمارس مهنة التجليد إضافة إلى نشر وبيع وتوزيع الكتب، لأنه كان يرى أن التجليد عملية ملازمة للكتاب فهي مهنة تعطي الكتاب الجمال والرونق والمتانة، لإضافة ما للمجلدين من صلة كبيرة بالكتاب والمكتبات والقراء ومنهم النخبة المثقفة وما زالت هذه الصلة موجودة، ويذكر السيد أمين عباس النعيمي (مقابلة معه في شارع المتنبي بتاريخ ١٠/١٠/ ١٩٩٦). وهو الشاهد الأخير على تأسيس سوق السراي الذي يتذكر مسترسلاً ذكريات كثيرة منها أنه تعلم التجليد أولاً على يد الأسطة وهيب الذي كان يعمل بدائرة البنك، ومن خلال احتكاكه مع المجلدين الانكليز الذين كانوا يعملون حينذاك في العراق تعرف على أساليب أخرى، ومن ثم عمل مع محمد إسماعيل الشيخلي في الفترة التي كان يعمل عنده عامل مصري يدعى (محمد) وقد اشتهر محمد المصري وتعلم منه التجليد الفني بصورة جيدة، أما أهم أنواع السجلات لتي كانت تجلد في حينها إضافة إلى تجليد الكتب كما يذكر النعيمي فهي (سجل اضمامة، سجل يومية، سجل أستاذ، سجل حسابات) ويذكر ايضاً أن ثمن القراءة الرشيدية المجلدة بـ(٣٠ فلساً) وثمن هدية المصحف المجلد بـ(نصف ربية) ومما يتذكره أيضا السيد أمين الذي هو أكبر المجلدين الباقين على قيد الحياة (متعه الله بالصحة والعافية) انه كان يشاهد الأستاذ الزهاوي وهو يركب مطيته ويحضر إلى محل نعمان الأعظمي في سوق السراي حيث كان آنذاك طفلاً صغيراً (كان ذلك كما يتذكر عند سقوط بغداد سنة ١٩١٧م).

شارع الاكمكخانة

وقد اتخذ المجلدون في بداية القرن الماضي من جامع الأصفية – الطابق الثاني (أزيل هذا الطابق عند إجراء الترميمات والإدامة على هذا الجامع البغدادي في الفترات اللاحقة) مقراً لهم حيث كان هذا الجامع مقراً للمولويين وهم من المجيدين والمجودين في الخط وفنونه وقد اشتهر الكثير منهم بتجليد الكتب إضافة إلى خط واستنساخ وتزويق وتذهيب الكتب، ويعدُّ نعمان الأعظمي من أوائل المجلدين الذين فتحوا محلاً في سوق السراي لتجليد الكتب، وبعد أن تعلم منه أخوه الأسطة محمد صالح الأعظمي الصنعة فتح له محلاً في شارع المستشفى (المقصود بناية المحاكم الشرعية الواقعة في رأس سوق السراي من جهة القشلة أمام مقهى الشابندر حالياً) فقد اتخذت في بداية هذا القرن مستشفى لإخلاء الجرحى العثمانيين لمدة أكثر من سنتين (مثل مستشفى الطوارئ حالياً)، كما اخبرنا بذلك الحاج محمد الخشالي صاحب مقهى الشابندر بتاريخ ٢٢ أيار ١٩٩٧ عندما سألناه عن أصل هذه التسمية التي أطلعنا عليها كتاب عليه ليبل يحمل اسم المجلد محمد صالح الأعظمي المجلد الذي يقع محله في هذا الشارع علماً انه كان في شارع الأكمكخانة عدد من الاطباء الذين يجرون العمليات الجراحية منهم الدكتور صائب شوكت والدكتور ماكس والدكتور فائق سليمان كل في عيادته، وقد يرقد المريض لمدة ثلاثة أيام في العيادة علماً أن أسرّة هذه العيادة كانت قليلة وبالتالي لا نستطيع أن نطلق على أي منها اسم مستشفى لكننا نستطيع أن نطلق على مستشفى المحاكم اسم مستشفى فهو المقصود كما نعتقد، قرب الأكمكخانة نمرة ٦هـ-٢٣ (كما هو مطبوع على الليبل المثبت على عدد من الكتب المجلدة في حينه منها كتاب فذلكة الطب بقلم د.سامي شوكت ١٩٢٦.

ثقافته

كانت ثقافة نعمان الأعظمي ثقافة دينية، وكان مولعاً منذ الصغر بكتب التاريخ والأدب وهو في طليعة الرجال الذين رفعوا للعلم منارا، واعتمدت ثقافته على التثقيف الذاتي حيث يذكر المرحوم قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى الذي كانت تربطه بنعمان الأعظمي (رحمه الله) صلة قربى وصلة جوار كما يذكر في مذكراته علما انه كان قد بدأ عمله في مكتبة نعمان الأعظمي عام ١٩٣٠، للمزيد راجع مجلة المكتبة، العدد ٥٦، بغداد ١٩٦٧ قائلا :

(إن جل اهتمام نعمان ورغباته كانت أحياء ما يتعلق بتاريخ العراق ولا سيما بغداد وكان نعمان هو الذي يصحح ملازم المطبوعات فإذا عصت عليه جملة أو كلمة أو وجد فيها غموضاً شطبها وعدلها حسب إدراكه دون التقيد بالنص) ويذكر ايضاً (انه كان يلاحظ جهل باعة الكتب فإن الكثير منهم لا يعرف القراءة والكتابة والبعض الآخر دخل المدارس الليلية أخيراً وتعلم قليلاً، أما نعمان الأعظمي فإنه كان يطالع مع أحد الإيرانيين الجريدة الفارسية بغية أن يتعلم الفارسية وبالرغم من كثرة ما قرأ لم يتعلم سوى كلمات معدودة من تلك اللغة) وهذا ينافي ما عثرنا عليه فالشهادة المدرسية التي عثرنا عليها والتي يعود تاريخها إلى ١٥ تموز ١٣١٧-١٨٩٩ تذكر أن نعمان ابن سلمان هو أحد طلبة المدرسة الابتدائية الواقعة في الأعظمية وقد نال الإعفاء بدرجة الامتياز مما يؤهله لدخول الدراسة الإعدادية، ونرفق صورة مصورة من الشهادة مع ترجمتها.

وإننا كما تبين لنا من خلال الإطلاع على الكتب التي طبعها، أن هذا الرجل قد كون لنفسه ثقافة تكاد تكون عالية جداً من خلال احتكاكه بالنخبة المثقفة الموجودة في العراق وقتذاك، ومن خلال اتصاله خلال سفراته خارج العراق بعدد كبير من العلماء والأدباء والمثقفين في الدول التي زارها، مما كان لهذه الثقافة الدور المهم كما يذكر الأستاذ قاسم الرجب في مذكراته (انه كان يحسن اختيار الكتب التي يتولى طبعها ولا اعتقد أي كتبي آخر في العراق كان يضارعه في ذلك، وكان إلى جانب ما نشره من الكتب القيمة التي أشبع بها رغبته، وقد نشر كثيراً من القصص المتنوعة المنزوعة من ألف ليلة وليلة وغيرها من الكتب(.

مناجاة الحبيب

وهو بعد أديب وباحث كما نعتقد، فخلال اطلاعنا على كتابه المطبوع سنة ١٩٢٧ في مطبعة الفرات –بغداد- ديوان (مناجاة الحبيب في الغزل والنسيب) الذي احتوى على أهم القصائد الغزلية والأبيات الغرامية للشعراء الأقدمين والعصريين حيث قام بجمعه وترتيبه وطبعه ونشره، ويذكر في مقدمة هذا الكتاب (فلما رأيت الأدب قد راج في هذا العصر وشاهدت الإقبال قد ازداد على النظم والنثر دعاني ضميري أن أهدي إلى أدباء شبابنا وفضلاء كهولنا هذا الديوان(.

من ذكريات الرجب عنه

أول ما يذكر قاسم محمد الرجب في مذكراته عن بداية دخوله عالم الكتب إذ يقول:

صلتي بسوق السراي تعود إلى سنة ١٩٣٠-١٩٣١ يوم تركت المدرسة واتصلت به وكان عمري اثنتي عشرة سنة عندما اشتغلت عاملاً صغيراً بالمكتبة العربية لصاحبها نعمان الاعظمي وكنت يوم ذاك في الصف السادس من المدرسة الابتدائية، وكان مرتبي الشهري ٦٠٠ فلس، ولم أكن قد رأيت بغداد كثيراً لأنني كنت من سكنة الأعظمية فكنت أراها في السنة مرة أو مرتين، وفي أيام الأعياد فقط، فلما اتصلت بالمكتبة وبالسوق كنت أعجب لما تحتويه من كتب إذ لم أكن قد رأيت مكتبة من قبل (، وكان سوق السراي آنذاك زاخراً بالمكاتب الصغيرة منها والكبيرة أمثال المكتبة الوطنية لعبد الحميد زاهد والمكتبة الأهلية لعبد الأمير الحيدري والمكتبة العصرية لمحمود حلمي ومكتبة الشرق لعبد الكريم خضر وهناك مكتبات صغيرة منتشرة من أول السوق إلى آخره ومنهم من يعرض بضاعته على الرصيف وذلك أمثال حسين الفلفلي واحمد كاظمية والحاج محمد وسامح إسماعيل ومن المكاتب الصغيرة التي ما زالت صغيرة حتى اليوم مكتبة التجدد

ذاكرة عراقية
ذكرنا أن نعمان الأعظمي كان قد فتح محلاً للتجليد وبيع الكتب في سوق السراي، وقد ذكر لنا ابنه المرحوم سلمان الأعظمي إن والده كان من أمهر المجلدين، وقد تدرب وتعلم على يديه وأخذ الصنعة منه العديد من المجلدين، وقد استمر نعمان الأعظمي إلى آخر حياته يمارس مهنة التجليد إضافة إلى نشر وبيع وتوزيع الكتب

لحقي بكر صدقي ومكتبة الشبيبة لرشيد عبد الجليل والمكتبة الحديثة للحاج محمد ومكتبة الزوراء لحسين الفلفلي، إذ لم تتقدم هذه المكتبات بالرغم من وجود طاقات من الذكاء عند البعض منهم ومن حسن المعاملة عند الآخرين.

وكانت المكتبة العربية اكبر تلك المكاتب في السوق والعراق كافة وصاحبها نعمان الاعظمي، كان عارفا بالكتب ذواقا باختيار ما ينشره ويطبعه من الكتب القديمة وعالما بالكتب الخطية بل كان الوحيد الذي يفهم هذا الفن ويعتني بتسويق الكتاب المخطوط وعرضه، على إن الرجل لم يكن يحب المطالعة ولكن الممارسة الطويلة ورحلاته الكثيرة إلى إيران ومصر والتقاءه بأكبر خبير في الكتب الخطية وهو السيد محمد أمين الخانجي الذي يعتبر الوراق الوحيد في العالم العربي في تلك الأيام، وكان سوق الكتب ضعيفاً والمطبوعات قليلة والأمية متفشية كما إن الكتب الخطية لا تتحرك فلا سوق لها، فإذا أحرز نعمان الاعظمي بعض حزمها وسافر من أجلها إلى مصر ليبيعها أو يبدلها بالكتب المطبوعة وكان الهاوي الوحيد لشراء المخطوطات في بغداد المحامي عباس العزاوي مع إن نعمان الاعظمي كان لا يعرض عليه إلا ما يحصل عليه من التوافه وما يبقى من الجيد يرسله إلى مصر (تعتبر مكتبة مخطوطات عباس العزاوي اليوم من أكبر وأشهر المكتبات في العراق، فتأمل عزيزي القارئ أية نوادر وجواهر كان يبيعها نعمان الاعظمي في مصر)، وكانت الكتب رخيصة سواء المطبوع منها أو المخطوط فهي تباع بأسعار زهيدة جداً إذ ليس هناك جهة رسمية أو علمية تهتم بشراء الكتب ولا مراسلات أو تجارة منظمة بين بغداد والخارج.

ونعمان الاعظمي كان الوحيد الذي يستورد الكتب ما خلا بعض التوافه التي تصل إلى غيره ولا سيما إلى محمود حلمي، إما الباقون فكانوا يعيشون على الكتب المدرسية المستعملة أو على التركات التي تباع أحياناً بالمزادات بالبيوت أو المساجد، والكتب الرائجة يوم ذاك كانت الكتب الدينية والقصص والموالد النبوية وكان نعمان الاعظمي يسافر كل سنة إلى مصر فيشحن معه إليها ما جمعه من المطبوعات الحجرية ومطبوعات بغداد والنجف والكتب الخطية ليعرضها بمصر والشام ويستبدل بثمنها مطبوعات أخرى، ولا تصله من الكتب طوال السنة إلا بعض المصاحف كما إن المفردات كانت لا تصله إلا قليلاً مما يحصل عليه من المبادلة وكنت أرى وللمرة الأولى المطبوعات العربية التي تطبع في أوربا، وكان يغالي بأثمانها ويفتخر بها طوال مكوثها عنده إذ لم يكن أحد على علم بمثل هذه المطبوعات ولم تكن قد وصلت إلى الأسواق ببغداد وما كان بالمكتبات العامة والخاصة منها فهو يعود إلى وجود بعض الأجانب أوصله بعض المستشرقين أمثال الأب انستاس الكرملي ويعقوب سركيس، وبيع بعض تركات العلماء المغاربة أمثال الشنقيطي وغيرهم.

من كتب التاريخ

وكان جل هم السيد نعمان ورغبته أحياء ما يتعلق بتاريخ العراق لا سيما بغداد فنشر كثيراً من الكتب المهمة كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي الذي كان يعد من الكتب المفقودة وكذلك نشر كتاب الحوادث الجامعة الذي نسب وهما إلى أبن الفوطي بإشراف مصطفى جواد، وكان ذلك في بدء اشتغالي عند نعمان الاعظمي ولن أنسى يوم كنت أذهب بالمسودات والملازم إلى المدرسة المأمونية الابتدائية ليصححها الأستاذ مصطفى جواد (وكان معلماً فيها يومذاك) مسودات الطبع وأذكر أنه أرسل بيدي الملزمة الأولى من الكتاب للأستاذ محمد رضا الشبيبي ليكتب مقدمته، وكان نعمان هو الذي يصحح ملازم المطبوعات فإذا عصت عليه جملة أو كلمة أو وجد فيها غموضاً شطبها وعدلها حسب إدراكه دون تقيد بالنص، وعندما أكمل كتاب الحوادث الجامعة الذي كنت أنا أطبق ملازمه وأجمعها لتكون كتاباً كما يفعل المجلد، وبقيت الفهارس فلما أرسلها الأستاذ مصطفى جواد إلى نعمان الاعظمي نظر فيها وتمتم وقال أنه لا يريد طبعها لأنها ستزيد الكتاب بعض الصفحات فمزقها، وكان معجباً بهذا الكتاب لما فيه من أخبار وحوادث طريفة عن بغداد.

كل الصيد..

ونشر أيضاً كتاب النور السافر في أعيان القرن العاشر للعيدروسي، وكانت أكثر نشراته ببغداد بمطبعة الفرات وصاحبها محمد رشيد الصفار فهو الذي كان يشرف على بعضها، وكان نعمان الإعظمي إذا باع كتاباً يتغزل به ويطرق مجلداً بمجلد ويظهر له صوتاً كما يفعل باعة الأحذية ويصيح (كل الصيد في جوف الفراء) وهو لطيف بمعاملته متساهل لا يحتكر كتاباً ولا يغالي به وإذا باع شيئاً بالدين فأنه لا يطالب بثمنه وهو كثير النسيان فإذا دفعت له الثمن فبعد خمس دقائق يطالبك به مرةً أخرى، ولكنه كان متسامحاً وبشوشاً بخلاف الباقين من أصحاب المكتبات، فإذا أشترى منه شخص كتاباً ما وأراد إعادته ولو بعد مضي زمن فأنه لا يمانع بشرط أن يستبدله بقصص كان يتولى طبعها مثل مريم الزنارية والمياسة والمقداد، حتى ولو كان الرجل لا تهمه هذه القصص، وكان سوق الكتب كما سبق لي بيانه ضعيفاً والصفة الغالبة على تلك الكتب، المصاحف والموالد النبوية والأدعية والصلوات والروحاني والقصص، ومن كثرة نسيانه إذا سام عليك قيمة الكتاب اليوم فقد ينسى غداً ما قاله اليوم وبإمكانك أن تأخذه بنصف الثمن إذ هو لا يضبط سعراً لتسويقه الكتاب، ولا يلتفت إلى القوائم التي اشترى بموجبها، ومن ثم فأن أكثر ما يصله كان مبادلة ومن كثرة تلك المبادلة التي اغرق بها أسواق مصر صرت أنا أجد من مطبوعات بغداد النادرة منها اليوم كثير من الكتب وهي مربوطة لم تفتح بعد، وهذا مما يؤخذ على أصحاب المكاتب المصرية.

مع الأدباء والكتاب

وكان يتردد إلى الأسواق كثير من العلماء والأدباء والشعراء أمثال جميل صدقي الزهاوي الذي كان يكتري الروايات باستمرار من نعمان وغيره فيدفع له أجرة عن قراءة كل مجموعة منها ربية واحدة أي

نعمان الاعظمي كان الوحيد الذي يستورد الكتب ما خلا بعض التوافه التي تصل إلى غيره ولا سيما إلى محمود حلمي، إما الباقون فكانوا يعيشون على الكتب المدرسية المستعملة أو على التركات التي تباع أحياناً بالمزادات بالبيوت أو المساجد، والكتب الرائجة يوم ذاك كانت الكتب الدينية والقصص والموالد النبوية وكان نعمان الاعظمي يسافر كل سنة إلى مصر

ذاكرة عراقية

ما يساوي اليوم (٧٥) فلساً، وطه الراوي الذي كان أكبر مشجع ومرغب للكتاب في جميع مجالسه الرسمية والبيتية، ونوري السعيد ويوسف العطا وبهاء الدين الشيخ سعيد النقشبندي وإسماعيل الواعظ ومحمد السماوي ومصطفى علي وغيرهم، وكان اكبر زبون للسوق وللكتاب هو عباس العزاوي المحامي، فكان يتردد إلى أربع مرات أو أكثر في كل يوم فلا يفوته كتاب مطبوع أو مخطوط وبصحبته أخوه علي غالب العزاوي المحامي، وكان رجلاً ذكياً مهذباً، فكان عباس العزاوي يستشيره عند كل صفقة يقع عليها اختياره، وإذا ما وقع كتاب خطي ولن يشتريه العزاوي فانه يبقى سنوات دون أن يباع إذ لم يكن هناك يومذاك من يتسوق الكتاب، وهناك كثرة من أصحاب الأقلام لم أرهم قد دخلوا السوق أو اشتروا كتاباً وهذا أمر عجيب؟.

وكانت تصل إلى بغداد المخطوطات من كربلاء والنجف الاشرف وهي أجود ما يعرض من المخطوطات وأندرها، وكان يتسوقها الكتبي الشيخ مهدي رئيس وغيره ويعرضها على نعمان الاعظمي أو انستاس الكرملي فان لم يوفق في بيعها لهما عرضها على عباس العزاوي الذي سرعان ما يشتريها، ومن كركوك كان يتسوق المخطوطات الملا صابر حافظ وهو رجل حسن المعاملة، وأذكر أن نعمان الاعظمي سافر، ذات مرة إلى إيران فاشترى بعض المخطوطات ولما عاد بها احتجزت منه في الحدود ولم يتمكن من إخراجها وإعادتها، ولكنه عند رجوعه أخبر احمد حامد الصراف المحامي بما وقع له ليتوسط له لدى السلطات الإيرانية بما لديه من علاقات ودية مع كثير من ساستها وعلمائها وأدبائها، فاشترط على نعمان انه إذا وفق في إعادة هذه المخطوطات إليه فإنه يأخذ احداها يختارها هو مما يعجبه منها، فوافق نعمان على ذلك، وقام الأستاذ الصراف بمساعيه فحصل عليها كاملة واختار منها ديوان (حافظ الشيرازي) محلى بالذهب ومزوقاً، إلا إنه بعد أن أشبع رغبته منه عاد فباعه إليه ثانية بمبلغ لا بأس به.

موسى الشهرستاني

ويضيف قبل أن اشتغل بالمكتبة العربية كان يعمل فيها السيد (موسى الشهرستاني) الذي لم يرق له الاشتغال فيها واستاء من معاملة أستاذنا فالتجأ الى المدرسة وبقي عاكفاً على طلب العلم حتى دخل الكلية الطبية وتخرج منها طبيباً واختص بأمراض العيون من جامعة لندن، ولم يستفد من معرفته بالكتب أو ما يتعلق بها لانصرافه إلى المدرسة كل الانصراف، ولما ترك المكتبة عين نعمان مكانه شاباً آخر اسمه عبد الأمير عباس، وهو شاب أمين ولطيف جداً، وأشهد انه من أطيب ما رأيت من الشباب المعاصر ولكنه كان كذلك مستاءً إذ لا تقدير لما يقوم به من شتى الأعمال المكتبية والفنية فترك العمل بالمكتب وأصبح خطاطاً وفناناً ورساماً.

كتب.. وكتب اخرى

وكان نعمان الأعظمي يحسن اختيار الكتب التي يتولى طبعها ونشرها ولا أعتقد إن أي كتبي آخر في العراق كان يضارعه في ذلك، وكان إلى جانب ما نشره من الكتب القيمة التي اشبع بها رغبته قد نشر كثيراً من القصص المنتزعة من ألف ليلة وليلة أو من كتب أخرى عثر عليها لم أجد لها أصلاً وقتذاك، مثل قصة المياسة والمقداد وقصة مناجاة موسى وتليها قصة الجمجمة وهي مملوءة بالخرافات والروايات الاسرائيلية ما لا يمكن أن يكون لهذه القصة أي صبغة إسلامية إذ فيها تشكيك بالعقائد وغير ذلك، وكان ينشر أدعية كثيرة مختلفة أوسعها انتشاراً هو دعاء عرف بـ(عهود السليمانية) وفيه أحجية سبع منجيات، ويحتوي على آية الكرسي ودعاء الاستغاثة لتفريج الكروب وفوائد للقبول والعطف، وهو يحمل تميمة لكل طالب حاجة لكي يدخل بها الحكام ويتجنب المصائب ولدغات الأفاعي والعقارب، ويسهل ببركته الولادة من العسر وعمل المحيا وفك المربوط، وفيه أسماء الله الحسنى، وسيف ذو الفقار.

الدعاء الجوال

ولهذا الدعاء موزعون في كل القرى العراقية من المشايخ وفتاحي الفال وبعض المصريين الذين كانوا يترددون على العراق مع صندوق الدنيا (الولايات) يجوبون به الشوارع والأزقة، وهناك في المكتبة قسم كبير للكتب الروحانية التي ينطبق عليها قول القائل (اقرأ تفرح، جرب تحزن) وكان لهذه الكتب زبائن وطلاب من مختلف الناس، وقد اشتهر من تلك الكتب ولا يزال مشهوراً شمس المعارف الكبرى والكباريت في تسخير العفاريت وعمل المنديل ومنبع أصول الحكمة للبوني وغير ذلك، وكانت هذه ترسل إلى الكاظمية والنجف الاشرف فيشتري منها أحد الكتبية من الذين اشتهروا بحسن معاملتهم وتساهلهم في البيع والشراء، هو الشيخ تقي الكتبي في سوق الاستراباذي، وقراء هذه الكتب مغفلون فاشلون في الحياة فراحوا يتشبثون بالأوهام والخيالات ويستغيثون بالأكاذيب والترهات، كان سوق المكتبات محطاً لكثير من العلماء والأدباء والساسة، فكان بعضهم يختص بمكتبة يجلس فيها دون غيرها في الغالب، فعلى مكتبة نعمان الأعظمي كان يتردد محمد سعيد الجركجي (محمد سعيد الحاج خلف) يرتدي الجزية أو اليشماغ أحياناً مع الصاية والعباءة وهو مداوم لا ينقطع، يطالع كتب الحديث والفقه وتراجم الرجال في الجرح والتعديل في مصطلح الحديث وكتب الخلاف والجدل وغير ذلك، وبالرغم من كثرة ما يطالعه وما يقتنيه من كتب لا أظنه قد جنى شيئاً من مطالعته بل كان لا يحسن قراءة سطر واحد على الوجه الصحيح وكان مع كل هذا يعتبر مستشاراً لنعمان فهو الذي يشتري له العقار وهو الذي يشرف على نوع البناء وغير ذلك، فقد كان أميناً وطيباً.

المفكرة العربية

ومن أشهر المفكرات وأوسعها انتشاراً (المفكرة العربية) التي يصدرها نعمان الأعظمي وهي لا تزال تصدر إلى يومنا هذا وكان ينظمها ويرتبها أحد خطباء المساجد في بعقوبة واسمه الزيدي، والمفكرة هذه تحتوي على خليط عجيب من الحكم والأمثال والأنواء الجوية وأمور أخرى لا يربطها رابط ولا تدخل تحت حصر من تقليم العنب وفيها إشارات إلى ازدياد البلغم وتزاوج البراغيث وتكاثرها وعلة القمل وتزاوج القطط وجز صوف الأغنام ونباح الكلاب وحمل الحيوانات وتكاثرها وتناسل الأغنام، كما كانت تحتوي على ذكر مواقيت الصلاة والأعياد الرسمية ووفيات الأئمة والقواد، وقد اختلف نعمان مع موظفها الذي كان لا يتقاضى منها سوى بعض النسخ فأحالها إلى أحد أحبار اليهود القدامى وأخذ هذا يرتبها دون مقابل.

جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني

د. عماد عبد السلام رؤوف

يحكي هذا الجامع الكبير، ذو القباب العالية، والمآذن الشامخة، والفناءات الواسعة، قصة إنسان من أصل شريف نبيل، قصد بغداد ليدرس فيها العلم، فكان أن استقر طالباً في مدرسة شهيرة من مدارسها في القرن السادس للهجرة، هي مدرسة القاضي أبي سعد المخرمي، وكانت هذه المدرسة تقع، يومها، في وسط محلة كبيرة، من محلات بغداد، عِرفت بمحلة باب الأزج، والأزج هو الممر الذي يبنى طولاٍ، فإذا بالطالب يصبح أستاذاً جليلاٍ، يقصده الطلبة من كل صوب، فيطير صيته في الآفاق، ويضوع خبره فينتشر بين الناس، وينال لخلقه العالي، وزهده، ووافر علمه، وروحانيته الأخاذة، بتقدير الجميع، فلا يدفن إلا في إحدى حجرات هذه المدرسة، وإذا بالمدرسة العلمية تصبح مسجداً جامعاً، يؤمه الناس للصلاة فيه

وإذا بالجامع يصبح مركزاً لمجموعة من المؤسسات النافعة، منها زاوية لإطعام الطعام للفقراء والمحتاجين، وحجرات لإيواء المنقطعين، وخزانة كتب تضم كل تالد وثمين من الكتب الخطية المهمة، ومقبرة تضم أجداث أعلام الناس، هذا فضلاً عن مدرسة تلحق بالجامع، يلتحق فيها الطلبة الوافدون من أقطار المشرق والمغرب، يأخذون العلم على يد هذا العالم، ويسلكون طريقهم إلى الله تعالى من خلال تأثرهم بذاك الشيخ الصالح، فلا ترى الناس فيه إلا بين راكع وساجد وقارئ ودارس ومتأمل، إنه جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني في محلة باب الشيخ ببغداد.

ولد الشيخ عبد القادر سنة ٤٧٠ هـ أو ٤٧١هـ، من أسرة تتفرع من الدوحة النبوية الشريفة، وتلقى العلم، ثم قصد بغداد، فدخلها شاباً سنة ٤٨٨، فاشتغل بالقرآن حتى أتقنه، وقرأ الفقه على كبار علماء بغداد، كما أخذ التصوف، والأدب، ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والمجاهدة، والتحق بمدرسة القاضي المخرمي، وتتلمذ عليه، وفي سنة ٥٢٠هـ جلس للوعظ والتدريس، ثم درس في مدرسة أستاذه، ولما ضاقت المدرسة بكثرة طلابها، قاموا بتوسيعها، وأعانه الناس على ذلك، وفي الواقع فإن توسعة هذه المدرسة كانت مشروعاً شعبياً حقيقياً، شارك فيه الفقراء بسواعدهم، والأغنياء بأموالهم، بل عمل فيها الفقهاء بأيديهم، وأضيفت إليها مساحة من الأرض كانت تشغلها البيوت وغيرها تبلغ ضعف مساحتها الأولى، فدرس فيها قرابة الأربعين عاماً، ووعظ فيها، وتاب بسبب مواعظه خلق كثير، واجتمع عنده من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة، ينتفعون بكلامه، وصحبته، وقصد إليه طلبة العلم من الآفاق. وصنف عدة مصنفات، منها كتاب (الغنية لطالبي طريق الحق) و(فتوح الغيب) وغيرهما. وكانت وفاته ليلة السبت ثامن ربيع الأول من سنة ٥٦١، ودفن برواق مدرسته ليلاً، وقد بلغ تسعين عاماً. أشاد به علماء عصره، فقال المؤرخ البغدادي الثقة ابن النجار(كان من الأولياء المجتهدين، والمشايخ المرجوع إليهم في أمور الدين، وأحد أئمة الإسلام العالمين العاملين، صاحب النفس الطاهرة، والكرامات الظاهرة) وقال ابن السمعاني في ترجمته (فقيه صالح ديّن كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، كتبت عنه، وكان يسكن بباب الأزج في المدرسة التي بنوا له).

وقال ابن الجوزي"كانت هذه المدرسة لطيفة بباب الأزج، ففوضت إلى عبد القادر، فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد، وكان له سمت وصمت". تولى التدريس بالمدرسة بعد وفاة الشيخ عبد القادر ولده أبو محمد عبد الوهاب سيف الدين، وكان يعرف بابن القدوة الزاهد، المتوفى سنة ٥٩٣ هـ ثم تلاه في التدريس ابنه عبد السلام بن عبد الوهاب، الملقب بالركن، المتوفى سنة ٦١٦هـ ، وقد دفن في مقبرة الحلبة، وهي التي ستعرف فيما بعد بمقبرة الشيخ عبد القادر، وتوالى المدرسون الكبار في التدريس بهذه المدرسة، حتى أصبحت مقصداً لكل طالب علم، وذاع صيتها في الآفاق، وعلى الرغم من هول ما جرى ببغداد في أثناء الاحتلال المغولي لها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، فقد استطاعت هذه المدرسة المباركة أن تستأنف نشاطها العلمي والروحي بعد مدة يسيرة، وبقيت أسرة

ذاكرة عراقية
ولد الشيخ عبد القادر سنة 470 هـ أو 471هـ، من أسرة تتفرع من الدوحة النبوية الشريفة، وتلقى العلم، ثم قصد بغداد، فدخلها شاباً سنة 488، فاشتغل بالقرآن حتى أتقنه، وقرأ الفقه على كبار علماء بغداد، كما أخذ التصوف، والأدب، ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والمجاهدة، والتحق بمدرسة القاضي المخرمي، وتتلمذ عليه

الشيخ تتولى شؤونها من تدريس ونظارة جيلاً بعد جيل، وكان لها الجاه والحرمة عند الخاص والعام.ومع مرور الوقت تحولت المدرسة لأن تكون جامعاً كبيراً يؤمه الناس للصلاة، وانقطع خبر المدرسة، ثم عاد مرة أخرى، حينما ألحقت بالجامع مدرسة جديدة، أنشئت في ساحته، في الثلث الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، كما ألحقت به زاوية كان يقدم فيها الطعام للفقراء، وأجنحة لها رواقات مكشوفة لإيواء الذين يقصدون المكان من النواحي البعيدة لأغراض العبادة والخلوة.

وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني اليوم يعد واحداً من أكبر الجوامع في العراق، كما يعد تحفة تراثية تزين جيد بغداد عبر تاريخها الطويل، لما ينطوي عليه من آثار عصور خلت، وما يضوع في جنباته من عَبَق الماضي المجيد.وإذا ما قصدنا زيارة الجامع اليوم، فإننا سنختار الدخول إليه من هذه الباب الكبيرة العالية، وهي الباب الجنوبية له، ولا يعرف تاريخ إنشاء هذه الباب، ومن الراجح أن يكون في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وذلك لوجود بيتين للشيخ عبد القادر ثبتت بقاشاني فوق عتبة الباب العليا، مؤرخة في سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م.فإذا ما دلفنا من الباب إلى فنائه، واجهتنا مئذنة ضخمة عالية، تعرف بالمئذنة الكبيرة، وبالمئذنة البيضاء، وطراز هذه المئذنة يدل على أن تشييدها جرى في العصر العباسي، أو ما بعده بقليل، فالضخامة المفرطة في بدنها، والرشاقة البادية على نصفها الأعلى الذي يعلو شرفتها، يشير إلى ذلك التقدير الزمني، وثمة نص تحت شرفة المئذنة كشف عنه في بعض التعميرات المتأخرة، تشير إلى تاريخ سنة ٩٠٤هـ، وربما كان هذا تاريخ تعمير المئذنة، لا تاريخ إنشائها أول مرة. وتتصل المئذنة، كما نرى، بالجناح المجاور،وهو على يمين الداخل تماماً، بجسر أو قنطرة مبنية بالطابوق على قوس مدبب.وعن يسار الداخل مباشرة، يدلف الزائر إلى رواق فسيح، مغلق، إلا من نوافذ ذات شبابيك عالية، تطل على فناء الجامع، وهو يعرف بالرواق الشرقي، وتشير النصوص التاريخية إلى أن بناء هذا الرواق جرى سنة ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م، وأنه كان يقوم على عمد من جذوع النخيل، ثم أنه جدد سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م تجديداً شاملاً، فأبدلت الجذوع بأسطوانات كبيرة من الرخام الجيد، وكسيت جدرانه بقطع الآجر المزجج الملون (القاشاني). ثم أضيفت في سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، كتابة على شريط من الآجر المزجج، على أعلى الرواق، المطل على الفناء، كتابة بخط الثلث، تتضمن نسب الشيخ عبد القادر الكيلاني كاملاً. وفي تجديد متأخر، أجري سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م أزيلت كسوة الرواق المزججة، وثبتت مكانها كسوة من قطع الرخام الأبيض المؤطر بالأسود، وثبت نص آخر فوق الشريط السابق، وهو من سورة الرعد،بخط الخطاط النابغة هاشم البغدادي رحمه الله.للمصلى محراب مجدد مزين بقطع من البورسلين، وهو الخزف الأوربي، على طراز بالغ الروعة.وله منبر عال، عليه قبة مخروطة، مرفوعة على أربعة أعمدة من الرخام، ذوات رؤوس وقواعد منقوشة، بلط جميعاً بالرخام، وفوق كل من مدخليه نص كتابي، فعلى الجهة الشمالية من الخارج (لا شرف أعلى من الإسلام)، وعلى الجهة الجنوبية (أشرف العبادة الإخلاص). أما جهات القبة التي تعلو المنبر فمحفورة بأغصان مورقة جميلة.

وإلى جانبي المصلى الرئيس المسمى بجامع الحنفية، رواقان قديمان، يرقيان إلى سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م ، وقد تحول الرواقان، في العهود التالية إلى مصليين، عرف أحدهما بجامع الشافعية، بينما عرف الآخر بجامع المالكية. وقد جدد الرواق الأخير نقيب الأشراف آنذاك السيد سلمان القادري الكيلاني سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، وجدد مرة أخرى سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، وأعيد تجديده على نحو شامل بديع سنة ١٣٩١هـ/١٩٧٨م. أما الرواق الأول، المسمى بجامع المالكية، فقد جرت توسعته سنة ١٩٦٤، بأن أضيفت إليه المدرسة التي كانت تحاذي شارع الكيلاني، فأصبح واسعاً رحيباً. ويتصل هذا الجناح، بجناح كبير، من طابقين، يطل على الفناء مباشرة، ويقابل الجامع تماماً، وبواسطة هذا السلم الضيق كان العلماء والطلبة يرقون إلى الطابق العلوي، حيث يمكنهم المرور في رواق طويل مكشوف، على هيأة طارمة فسيحة، وتطل على هذا الرواق مرافق الجامع العلمية والثقافية، فهذا الجناح يضم في طابقه العلوي قاعات كبيرة للمطالعين، وخزانة الكتب المسماة مكتبة المدرسة القادرية العامة، وتضم هذه المكتبة عدة آلاف من نفائس المخطوطات في مختلف العلوم الإسلامية، فضلاً عن المطبوعات النادرة، التي تصلها من ديار الشرق والغرب، وكانت هذه المكتبة أصلاً تشغل بعض حجرات الجناح المذكور، ثم أضيفت إليها دار الشوربة خانه، وهي المطبخ المعد لإطعام الفقراء والزائرين، فتضاعفت مساحتها.وفي الجناح الغربي، وهو المتصل بقاعات المكتبة، المدرسة القادرية، وفيها تلقى الدروس في العلوم الإسلامية، ويتخرج الطلبة على كبار العلماء، وتوفر لهذه المدرسة خدمات كثيرة تيسر مهمتها العلمية.

وثمة شرفة واسعة تتصل بهذا الرواق، وتطل على فناء الجامع مباشرة.فإذا ما وصلنا إلى نهاية حجرات المدرسة، وجدنا سلماً آخر، كالسابق، يمكننا أن ننزل منه إلى فناء الجامع ، وسيواجهنا . إن نحن وصلنا أرض هذا الفناء.برج عال، من الآجر، المزين بالكتابات على قطع الآجر المزجج، في أعلاه ساعة دقاقة، لها أربعة أوجه.شيد برج الساعة سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، أما الساعة نفسها فقد جيء بها من الهند، وهي تعمل بالأثقال، حيث تسحب الأثقال إلى الأعلى، لغرض نصبها، ثم تترك لتهبط رويداً، وهي إنكليزية الصنع، ولا تزال تعمل دون توقف، إن أوجه الساعة الأربعة مثبتة في كيان خشبي مكعب فوق البناء، وهو يضم آلتها، أما أجراسها فقد ثبتت فوق ذلك الكيان، تحت قبة خشبية مرفوعة على ثمانية أعمدة، بينها أقواس ثمانية مفصصة تقف على قاعدة مثمنة محاطة بسياج مشبك من الحديد. وتواجهنا، على كتف الباب الغربية، مئذنة رشيقة، بنيت على الطراز البغدادي الأصيل، تقابل المئذنة الشرقية التي تحدثنا عنها من قبل، وهذه المئذنة أحدث من سابقتها، فقد شيدت سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، ولهذه المئذنة بابان للصعود إليها، أحدهما في فناء الجامع، والثاني من فوق سطح الباب. وقد جددت هذه المئذنة مؤخراً على نحو زادها متانة وقوة، لكنه لم يفقدها شكلها التراثي التقليدي الجميل.

وفي فناء الجامع، دكة كبيرة عالية، اتخذت مصلى صيفي له، ومن مرافق الجامع المهمة، مقبرته، وتقع بين مصلاه وبين شارع الملك غازي، وينفذ إليها من باب خاص في الجهة الغربية من فنائه، وتضم هذه المقبرة رفات عدد كبير من العلماء والصالحين، ومنهم رجال كان لهم شأن في تاريخ العراق، منهم رئيس الوزراء الأسبق عبد المحسن السعدون، الذي يعد شاهد قبره نموذجاً فريداً بين شواهد القبور، حيث اتخذ على شكل الوصية التي كتبها رئيس الوزراء بخط يده، والتي شرح فيها أسباب انتحاره احتجاجاً على هيمنة بريطانيا يومها على شؤون العراق.

وسنختار، عند مغادرتنا فناء هذا الجامع، أن نسلك طريق الباب الغربية، وهذه الباب تقابل الباب الشرقية التي دلفنا منها إلى فناء الجامع أول مرة، ضخامة وارتفاعا، وقد كتبت في أعلاه كتابات تسجيلية بخطوط بديعة .

ومن مرافق الجامع التي اندثرت، سقاية كبيرة للماء، كانت تستمد ماءها من قناة عالية مبنية فوق عقود من الآجر، تبدأ عند شاطئ دجلة، وتمضي مجتازة الدروب، حتى تصب الماء في هذه السقاية.

وقد سجل الرحالون وجود هذه السقاية في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد).

وكانت تعرف بالسقاية البرانية.وهكذا يبدو لنا جامع السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قطعة من ماض زاهر، ازدهرت فيه الحياة الثقافية والروحية في بغداد، في قرون خلت، فقصده العلماء للتدريس في مدرسته العلمية، ووفد إليه الطلبة ينهلون من علومه الإسلامية، وتبارى الفنانون في تزيينه بكل فن جميل، كما اجتهد الخطاطون باتحافه ببدائع خطوطهم الرشيقة، وضمت أرضه رفات الصالحين من أهل هذه المدينة العريقة.

عن كتاب جوامع ومساجد بغداد

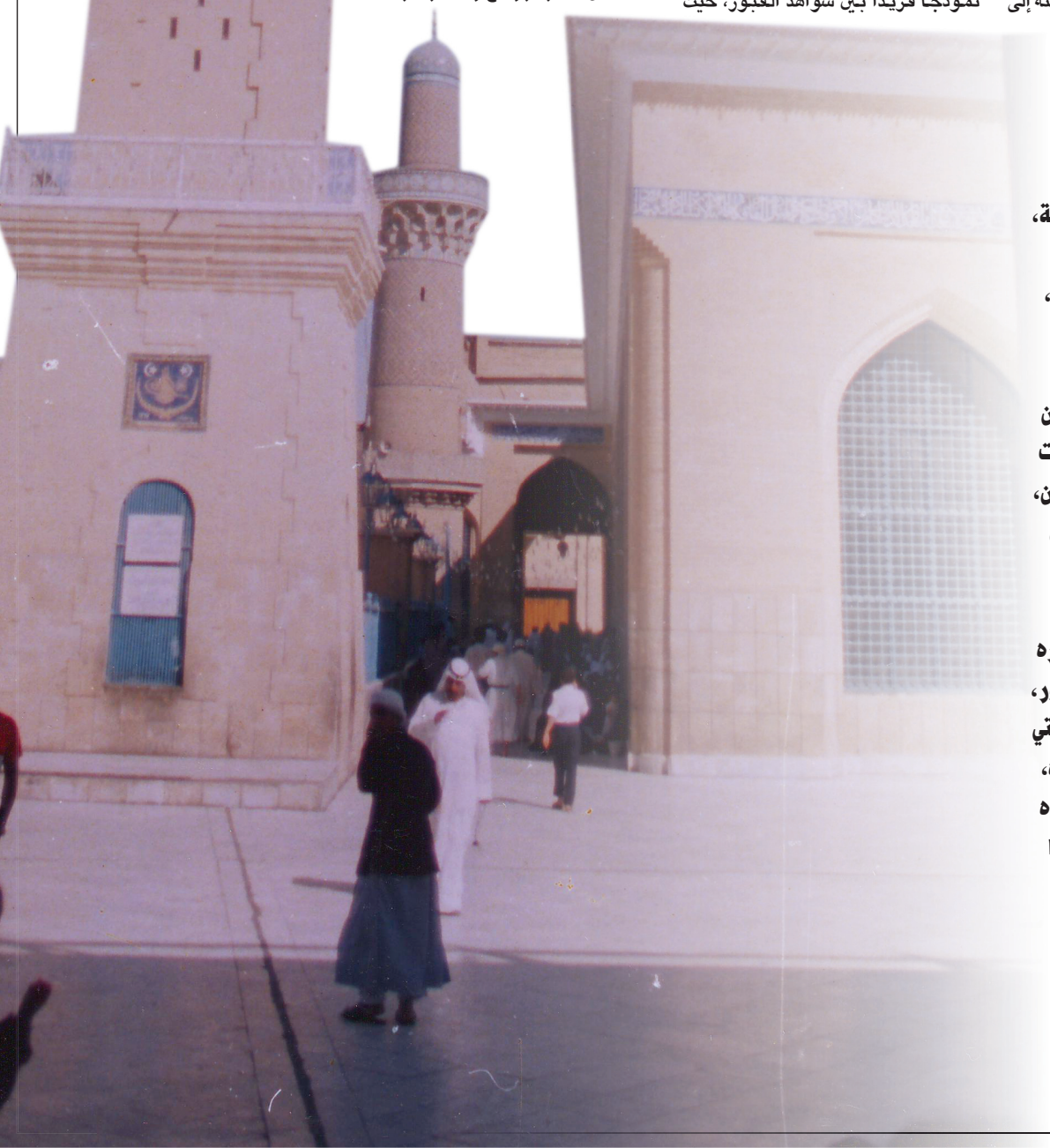

في فناء الجامع، دكة كبيرة عالية، اتخذت مصلى صيفي له، ومن مرافق الجامع المهمة، مقبرته، وتقع بين مصلاه وبين شارع الملك غازي، وينفذ إليها من باب خاص في الجهة الغربية من فنائه، وتضم هذه المقبرة رفات عدد كبير من العلماء والصالحين، ومنهم رجال كان لهم شأن في تاريخ العراق، منهم رئيس الوزراء الأسبق عبد المحسن السعدون، الذي يعد شاهد قبره نموذجاً فريداً بين شواهد القبور، حيث اتخذ على شكل الوصية التي كتبها رئيس الوزراء بخط يده، والتي شرح فيها أسباب انتحاره احتجاجاً على هيمنة بريطانيا يومها على شؤون العراق.

ذاكرة عراقية

انتخابات (أيام زمان):
ماذا حدث في انتخابات عام 1952

د. عبدالحميد الهلالي

منذ تأسيس الدولة العراقية في ٢٣ آب ١٩٢١ تقرر ان تكون ملكية دستورية اي ديمقراطية بمشاركة الشعب في ادارة شؤونه عن طريق ممثليه في البرلمان، وتقرر ايضا ان يتكون البرلمان من المجلس النيابي ويتم اختيار اعضائه، بالانتخاب ومجلس الاعيان ويتم تعيين أعضائه بارادة ملكية بتنسيب من رئيس الوزراء على ان لايزيد عددهم على ٢٠٪ من اعضاء المجلس النيابي..

× وخلال اعوام ١٩٢٢- ١٩٢٤ اجريت انتخابات المجلس التأسيسي الذي ضم ١٠٠ عضو يمثلون مختلف الكتل السياسية العراقية، وعند التأمه برئاسة رئيس الوزراء انذاك جعفر العسكري كان عليه انجاز الامور التالية:

١-التصديق على معاهدة ١٩٢٢ بين العراق وبريطانيا.

٢-وضع الدستور (القانون الاساس للدولة العراقية).

٣-تشريع قانون الانتخابات للمجلس النيابي.

وقد انجزت كل هذه الاعمال وبالشكل المعروف حيث رافقتها العديد من احداث المعارضة والمقاومة الشعبية وبموجب قانون الانتخابات الذي اقر انذاك انعقدت الدورة الاولى للمجلس عام ١٩٢٦ بحضور ٨٨ نائبا فازوا على اساس الانتخاب غير المباشر الذي كان يجري على مرحلتين يتم في الاولى منها انتخاب الثانويين وينتخب هؤلاء فيما بعد نواب اللواء (المحافظة) الذين يمثلونه ويعتبر اللواء بكامله وحدة انتخابية يمثلها عدد من النواب حسب كثافة سكانه على ان لايقل عمر الناخب عن عشرين سنة في حين يجب ان يكون النائب قد بلغ الثلاثين سنة.

× وظلت الانتخابات تجري على هذا الاساس حتى ١٩٥٢ وبعد انتفاضة شعبية عارمة قررت وزارة نور الدين محمود العسكرية سن قانون الانتخابات المباشر وتم انتخاب النواب على اساسه اعتبارا من الدورة ١٣ وحتى السادسة عشرة التي حلت بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

وخلال ذلك العهد – العهد الملكي- قامت احزاب وكتل نيابية عددية لها برامجها ومواثيقها واتجاهاتها ولكنها انتهت جميعا بالتلاشي التدريجي او تفككت اوصالها وحلت قواها بمرو السنين ولعل السبب في ذلك يعود الى ان معظمها قام على اساس التعارف الشخصي والمصالح الذاتية الضيقة وكان اعضاؤها في الاغلب شخصيات لها مركزها في مناطقها كرؤساء العشائر وابناء البيوتات القديمة في مراكز المدن وكانت هذه الاعتبارات تلعب الدور الرئسي في نشاطات الاحزاب والكتل السياسية وكان لبعضها صحفها الخاصة ونشرياتها العامة التي تعبر من وجهات نظرها واتجاهاتها السياسية المؤيدة لمرشحيها عند الانتخابات اذا ماجرت واشتركت فيها .وعلى العموم يمكن اعتبار الكثير ممن شاركوا في انتخابات ايام زمان هم من المستقلين المعتمدين على انفسهم ومراكزهم وذويهم في مناطقهم وبتأييد من الجهات الرسمية لهم في بعض الحالات، خاصة خارج مدن (بغداد، البصرة، الموصل، النجف) وكان لهم دورهم في الدورات الاخيرة لتلك الانتخابات!.

× ومنذ عام ١٩٥٢ ظهرت نشاطات كانت تسبق تلك الانتخابات عرفت بادبيات الانتخابات حيث كثيرا ماكان يدعو المرشح لنفسه بالخطابة وبالنشرات الدعائية التي توجز المعلومات عنه وعن اهدافه من خوض المعركة الانتخابية وقد تمكنت اخيرا من الحصول على بعض النماذج من تلك النشرات سواء ماوزع منها على المؤيدين او مانشرته الصحف المحلية من مقالات هي بمثابة تعريف بهم ولايخلو ذلك من طرافة او درس وعبر، ففي العدد ٥٠٥٣ من المجلد ٥٤٠ من جريدة (الزمان) التي صدرت بتاريخ ٦ حزيران ١٩٥٤ نشرت مقالا بعنوان (مسؤولية الناخبين) جاء فيه:

×ان المعركة الانتخابية المشتعل اوارها في جميع انحاء العراق اليوم والتي تخوضها مختلف الكتل السياسية والاشخاص المتعلمون فيها بجميع مالديهم من امكانيات ووسائل ليحققوا الفوز لانفسهم بالحصول على اصوات الناخبين وانها لمعركة واسعة حامية قادتها ظاهرون وجنودها مخنوقون واذ كانت مهمة الناخب تنتهي عند وضع ورقته (صوته) في صندوق الانتخاب، فان صوت الناخب هذا هو الذي يقرر بالاضافة الى اصوات غيره من الناخبين الفوز لهذا المرشح او ذاك لذلك يجب على الناخب ان يكون يقظا حذرا فلا تأخذه دعاية ولايغرر به مال، ولن تبعده عن استعمال حقه قوة وعليه ان لايتهاون في قول الحق بدافع من المجاملة والصداقة او المصلحة الخاصة، بل على رأي الناخب ان يميز بكل امعان وتدقيق بين المرشحين أنفسهم في المنطقة الطالبين لصوته ولصوت اقرانه فيتوخى فيهم ماقاموا به من اعمال وفي صدق تمسكهم بمناداتهم وقابلياتهم وتفهمهم الامور وقدرتهم في حل مشاكل اليوم مشترطا فيهم الالمام اولا بالوضع الداخلي والخارجي فعالمنا اليوم يغاير عالم الامس فهو مرتبط الاجزاء وثيق الصلة بين بعضه البعض بحيث لايمكن ان يعيش اي شعب في معزل عن بقية الشعوب!!.

× وتمضي (الزمان) في تحديد مسؤولية الناخبين فتقول: تلك هي بعض مايجب ان يبحثها الناخب في المرشحين الى جانب اتصافهم بالاستقامة والخلق المتين وعفة اللسان وسلامة القصد والنزاهة والتجرد، ان بلدا كالعراق لايزال يشكو مر الشكوى من سوء الاوضاع وترديها ولايمكن ان نتخلص مما هو فيه من ضعف وهزال الا بذوات يشعرون بالمسؤولية ويقدرون الامور حق قدرها ويعملون مخلصين لخير الوطن بتجرد تام! فهل كان نواب تلك الفترة على هذا المستوى ليحققوا مطاليب من صوتوا لهم.. الامر متروك للتاريخ.

×وعلى ذكر ادبيات الانتخابات، كنت قد رشحت نفسي عن منطقتي مدينة المدن البصرة لدورة عام ١٩٥٤، واصدرت منشورا انتخابيا طبعته في مطبعة شط العرب بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٥ ووزعت منه خمسة الاف نسخة خلال الحملة – جاء فيه: -مرة اخرى ترك الامر لكم لانتخاب من يمثلكم في المجلس النيابي، ولقد برهنتم في جميع الظروف والاحوال على انكم خير من ينتخب ومن يختار وكنتم دوما تميزون بين الرجال ومن الذين يقولون للمحسن احسنت وللمسيء اسأت! ثقة مني بمزاياكم السامية هذه رشحت نفسي للنيابة عنكم في السابق فكتب لي بعون الله ومؤازرتكم الفوز والنجاح فلم اخيب لكم ظنا، او رجاء، بل كنت وفيا للعهد لم اتساهل في حق ولم انخفض عن باطل ولم اتهاون في الخدمة وبقيت كما كنت وثيق الصلة بكم معتزا بثقتكم وتأييدكم باذلا جهدي في التعبير عن ارائكم واحاسيسكم والدفاع عن مصالحكم واهدافكم في داخل المجلس وخارجه، وبهذا الشعور، وهو شعور، مبعثه الثقة المتبادلة والتقدير المتبادل اتقدم اليكم مرشحا نفسي عن المنطقة الانتخابية الاولى منطقتي التي اتشرف بالانتساب اليها واعتز كل الاعتزاز بها طالبا تأييدكم ومؤازرتكم معاهدا اياكم ان اكون في المستقبل ايضا كما كنت في الماضي وكما انا اليوم حريصا كل الحرص على ان اكون قريبا منكم متفقدا احوالكم في كل وقت وحين دون تمييز او تعصب او تحزب.

احدى جلسات البرلمان العراقي

مقاطعة الكهرباء في بغداد

د. قاسم جبر السوداني

في بغداد شركة اجنبية (للجرّ والتنوير) حصلت على امتياز اعمالها منذ زمن بعيد، وقد شعرت بضآلة ارباحها ولاسيما اذا مدّت (القداد) -الترامواي- فتمصلت منه بطرق كانت موضوعاً للحديث ردحاً من الزمن، وبقيت اعمالها مقتصرة على التنوير فقط، وصارت تستوفي ٢٨ فلساً عن كل وحدة كهربائية (كيلو واط).

وكان العالم قد تعرض في اواخر عام ١٩٣٣ الى ازمة اقتصادية عنيفة لم ينج حتى العراق من آثارها السيئة فقد انتشرت البطالة فيه وهبطت اسعار محصولاته هبوطاً عظيماً وارتبك وضعه المالي ارتباكاً اضطرت الحكومات المتعاقبة فيه الى تخفيض بعض الرسوم وتخفيف الكثير من الضرائب والاجور لتخفيف آثار تلك الازمة الخانقة.

وقد شعر البغداديون ولاسيما طبقة العمال منهم بفداحة اجور التنوير التي تستوفيها شركة الكهرباء، فقرروا مقاطعة الشركة مقاطعة تامة حتى تخفض هذه الاجور الى الحد المعقول، ومهدوا لهذه المقاطعة بمفاوضات مع رجال الشركة فلم تسفر عن نتيجة. ثم قرر (مجلس اتحاد نقابة العمال في بغداد) اعلان المقاطعة بصورة رسمية وعينوا مساء يوم الخامس كانون الاول سنة ١٩٣٣ موعدا لذلك، بعد ان ايدت كافة الصحف وجوب اجراء التخفيض في هذه الاسعار، وبعد ان استعد الاهالي للاستعاضة عن الكهرباء بالزيوت والشموع والمصابيح (اللوكس) وامست بغداد الجميلة بعد هذه المقاطعة في ظلام دامس على الرغم من بقاء شوارعها العامة مضاءة بالمصابيح الكهربائية ثم اخذت المقاطعة تشتد وتشترك فيها مختلف الجماعات اللهم الا الوزراء والمديرين العاميين فانهم بقوا محتفظين باضوائهم الكهربائية!

اما الحكومة فانها وقفت من هذه الحركة موقف المتفرج في بادئ الامر حتى تتوصل الى معرفة القائمين بالحركة والمحرضين عليها، ولكنها اضطرت الى مفاوضة الشركة لخفض الاسعار، فتمكنت بعد مفاوضات طويلة، من خفض (فلسين) عن كل وحدة كهربائية، الا ان المضربين لم يرضوا بهذا التخفيض الزهيد واصروا على وجوب جعله اكثر.

ثم رأت السلطة ان المقاطعة دخلت في طور جديد يخشى منه على الامن العام، وعلى حرية الافراد، وان هناك من يعمل وراء ستار لاستغلال هذه الحركة، فعمدت الى بث العيون تراقب اعمال المحرضين والمقاطعين وانذرت الصحف بوجوب الكف عن حث الناس على المضي في هذه الحركة، واوعزت الى امانة العاصمة بانارة الطرق والشوارع التي كانت لاتزال تضاء بالزيوت- بالكهرباء، فوفرت بذلك على الشركة ما خسرته لدى الاهالي.

وفي يوم ٢٧/١٢/١٩٣٣ القي القبض على الشباب المتهمين بالتحريض على المقاطعة وسيقوا الى محاكم الجزاء بتهمة (الاخلال بالامن العام) فقضت هذه بوضعهم تحت مراقبة الشرطة لمدة ستة اشهر. ثم عطلت الحكومة الصحف التي كانت تؤيد فكرة المقاطعة، ومنعت الاخريات من نشر اي خبر يتعلق بالمقاطعة، واوقفت بعض طلبة (كلية الحقوق) وبعضاً من ارباب الصناعات المختلفة، وساقتهم الى المحاكم بالتهمة نفسها فحكم على كل موقوف بالسجن لمدة سنة، وبوضعه تحت مراقبة الشرطة سنة اخرى وداهمت في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني ١٩٣٤ دور جمعيات العمال وصادرت اوراقها وسجلاتها ومنعتها من مزاولة اعمالها، فاحتج جماعة من شباب الموصل على خنق الحرية فاوقفت شرطة الموصل المحتجين في الحال وساقتهم الى محاكم الجزاء واستحصلت احكاما مختلفة بحقهم.

فهمي المدرس ومناهضته لتقدم المرأة

مجيد اللامي

ان تعليمَ المراة لم يكن عملية سهلة في العراق فقد كان المجتمع جامدا متخلفاً شديد التعصب ضد كل جديد نافع ولهذا يحفل تاريخ تعليم المراة بكثير من الصور التي تمثل عثرات كاداء في سبيل تعليمها..

ومن الوقائع الغريبة التي روتها المرحومة صبيحة الشيخ داود في كتابها (اول الطريق) ذلك الموقف الذي وقفه المرحوم الاستاذ فهمي المدرس مع مديرة المدرسة البارودية للبنات سنة ١٩٢٤ اذ قالت: لقد شق التعليم النسوي طريقه يومذاك في بطء ظاهر وفي وجه مقاومة ضارية.

وتروي السيدة مديحة عقيلة المرحوم ابراهيم كمال والمعلمة في مدرسة البارودية عام ١٩٢٤ ان مشادة عنيفة وقعت بين شقيقتها السيدة معزز مديرة المدرسة والمرحوم الاستاذ فهمي المدرس المعروف بمناهضته لتقدم المرأة بسبب قيام مدرسة الرياضة باعطاء درسها لطالباتها على سطح المدرسة وكانت الطالبات يرتدين (تنانير) زرقاء اللون و(بلوزات) بيضاء.

وقد استوقفت هذه الحركة الاستاذ المدرس وكان يجاور المدرسة فأطل من داره واخذ يكيل الشتائم للمعلمة لانها تقوم بهذه التمارين على السطح وبشكل وصفه بانه مشين ولم يكتف بهذا بل بعث رسالة مسهبة الى وزارة المعارف التي تلقت قبل ذلك مذكرة من السيدة معزز وقررت ايفاد هيئة من مفتشيها توجهوا بعد دراسة الموضوع برجائهم اليها لتصرف النظر عن الحادثة قائلين: ان موقفنا رغم وضوح حجتنا موقف ضعيف وموقف اؤلئك على ضعف براهينهم موقف القوي وان هدفنا الآن ان نقنع ابناء الشعب فائدة التعليم ونتحمل في سبيل ذلك كل الصعوبات حتى نصل الى ما نريده..

الزعيم عبد الكريم قاسم يحرر المغرب من القواعد الأميركية!!

صباح الجنابي

زار الجمهورية العراقية في نهاية شهر كانون الثاني من عام 1960 . صاحب الجلالة الملك محمد الخامس ملك المملكة المغربية على رأس و فد رفيع المستوى كان احد أعضائه الجنرال اوفقير , و هو القائد العسكري الذي تزعم محاولة انقلابية ضد الملك المغربي الحسن الثاني. و في مطار بغداد استقبل بكل حفاوة و تقدير من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء و الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة و اللواء الركن احمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش العراقي .

قد يبدو للكثير من العراقيين و غير العراقيين هذا العنوان غريبا جدا، و لكنه الزعيم عبد الكريم قاسم و عراق ١٤ تموز. لقد بذل عراق ١٤ تموز الكثير من الجهد و المساعدات لا خوانه الدول العربية رغم موارد العراق المحدودة و المعتمدة بصورة أساسية في ذلك الوقت على عوائد النفط التي تستلم من الشركات النفطية البريطانية العاملة على الصناعة النفطية العراقية، و هذه الشركات كانت بدورها تتلاعب بمقدرات البلد الاقتصادية وفقا لسياسات أسيادها في العواصم الاستعمارية.

لقد مد العراق يده الكريمة إلى أشقائه العرب فمساعداته العسكرية و المالية:-

•الثورة الجزائرية كانت اكبر وأعظم مما يتصوره البعض و كانت بغداد نقطة مهمة في زيارات القادة الجزائريين مثل فرحات عباس و احمد بن بيلا و كريم بلقاسم. حيث قدم العراق معظم تسليح الجيش من السلاح البريطاني الذي كان الجيش العراقي يستعمله قبل قيام الثورة (ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة) و تم نقله للجزائر بالطائرات العراقية العسكرية و بقيادة طيارين عراقيين أكفاء إلى المقاتلين الجزائريين في ارض المعارك مباشرة.

•الثورة في ارض عمان العربية ، حيث كانت الزيارات المتواصلة للأمير غالب بن علي والأمير سليمان بن حمير أمير الجبل الأخضر للعراق و حصوله على كل ما يطلبه من مساعدات عسكرية و مالية اكبر دليل على عمق التعاون بين ثورتي العراق و عمان.

• و فلسطين التي كانت تحتل موضع القلب من الجهد العراقي و التي كثيرا ما سالت على أرضها الطاهرة دماء أبناء العراق البررة ولحد اليوم يتذكر أبناء فلسطين الشرفاء بطولات الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم في معارك نابلس – جنين عام ١٩٤٨ و الآخرين من اخوانه أبطال الرافدين، ولي الشرف أن يكون المرحوم والدي الرئيس الأول عبد الستار الجنابي أن قاتل مع الزعيم عبد الكريم قاسم في معارك جنين عام ١٩٤٨ و جرح ثلاث مرات جروح بليغة .

فتأسيس جيش التحرير الفلسطيني و تدريب ضباطه و جنوده من المعاهد و الكليات العسكرية العراقية الأثر الكبير في تغير إستراتيجية الكفاح الفلسطيني من اعتماده على الجيوش العربية لتحرير أرضه إلى اعتماد أسلوب الكفاح المسلح و أن الحمل الثقيل يجب ان يحمله اهله و هذه مقولة الزعيم عبد الكريم قاسم كل هذا كان يتم و بمنتهى الصمت و الجدية فالزعيم لا يرغب بالدعايات الإعلامية و الاستغلال البشع لمثل هذه الحالات لإغراض شخصية ، و اليوم نتكلم عن المملكة المغربية و ما قدمه لها عراق عبد الكريم قاسم.

زار الجمهورية العراقية في نهاية شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٠ . صاحب الجلالة الملك محمد الخامس ملك المملكة المغربية على رأس و فد رفيع المستوى كان احد أعضائه الجنرال اوفقير ، و هو القائد العسكري الذي تزعم محاولة انقلابية ضد الملك المغربي الحسن الثاني.

و في مطار بغداد استقبل بكل حفاوة و تقدير من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء و الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة و اللواء الركن احمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش العراقي .و قد أطلق الزعيم عبد الكريم قاسم على الملك محمد الخامس لقب الملك الشعبي الذي قبله بكل حب و امتنان ، وذلك تعبيرا و تميزا لجلالة الملك عن غيره من الملوك نظرا للدور النضالي الحر و الشريف الذي قاده من اجل استقلال المغرب. و قد شملت زيارة الملك الشعبي محمد لخامس زيارات للعديد من الكليات و المعاهد العسكرية الراقية في العراق و منها الكلية العسكرية و كلية الأركان كما أهديت له مجموعة من الأسلحة العراقية التي تم صناعتها في مصانع وزارة الدفاع العراقية بأيدي و عقول عراقية صرفة. في إحدى لقاءات العمل سأل الزعيم عبد الكريم قاسم ضيفه الملك محمد الخامس عن سر قبول المملكة المغربية بتواجد عدد من القواعد الجوية الاميركية على أراضيه .

أجاب الملك المغربي "أن المغرب مرتبط مع الولايات المتحدة الاميركية باتفاقية تنص على استمرار تواجد القواعد الجوية الاميركية على أراضيه حتى يتمكن المغرب من إنشاء سلاح جوي فعال، و قد شكلنا نواة لسلاح الجو المغربي و لم نتمكن من الحصول و من أي مصدر على أي نوع من أنواع الطائرات ، حيث تبذل أمريكا جهدها لدي جميع الدول التي نلجأ لشراء الطائرات منها للحيلولة دون إتمام أي صفقة في هذا المجال".

و على الفور قرر الزعيم عبد الكريم قاسم أن يهدي للشعب و الجيش و الملك المغربي سربا من احدث أسراب الطائرات العصرية المقاتلة التي و صلت العراق مؤخرا من الاتحاد السوفيتي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مع جميع أسلحتها و معداتها و أدواتها الاحتياطية الكافية مع استعداد القوة الجوية العراقية بالقيام بتدريب طياري سلاح الجو المغربي عليها. لكي تقطع هذه الهدية الأخوية على المستعمرين الاميركان الطريق لبقاء قواعدهم في المغرب الشقيق، و تتيح للشعب المغربي تأسيس سلاح جوي مغربي فعال يتمكن من خلاله تطهير أراضيه من دنس القواعد الاميركية و حسب ما تنص عليه الاتفاقيات المغربية الأمريكية غير المتكافئة ، و فعلا تم رسم علامتي الجيش العراقي و بجانبها علامة الجيش المغربي على جميع الطائرات التي تم إهداؤها للأشقاء المغاربة، تعبيرا عن الإخوة و النضال المشترك بين الجيشين و الشعبين العراقي و المغربي.

وصلت الطائرات العراقية للمغرب و عندها طلب العاهل المغربي الملك محمد الخامس من الجانب الامريكي إخلاء القواعد الاميركية من الأراضي المغربية لان المغرب يمتلك الآن سلاحا جويا و طنيا خاصا به و مزودا بإحدى طائرات الميك ١٩ الحديثة مع كل إمكانات الصيانة و الملاحة الجوية و غيرها من الضرورات. وفعلا إخلاء القواعد الجوية الأمريكية من الأراضي المغربية و أصبحت السيادة المغربية على أراضيه كاملة و العلم المغربي يرفرف عاليا على ربوع المملكة المغربية و بذلك ساهم عراق الزعيم عبد الكريم قاسم بتطهير ارض إحدى اكبر الدول العربية مساحة من التواجد الاستعماري الأجنبي.

إن مثل هذا العمل العملاق و الكبير لم يكن ليتم لو لم يكن العراق قد ذاق مرارة طعم تدنيس التراب الوطني و إقامة القواعد العسكرية البريطانية على اراضيه المقدسة في الحبانية و الشعيبة التي وافقت عليها حكومات العهد الملكي في العراق . فهو بلا شك موقف لا يحس بذلة الى من ذاقه فعليا . فبعد أن حرر العراق أراضيه الوطنية و اقتصاده الوطني اتجه لمساعدة أخوانه العرب في هذا الاتجاه.

اتسمت جميع جهود العراق من اجل مساعدة إخوانه العرب بالصمت و العمل الدؤوب و الفعال، على عكس ما سلكه العديد من الزعماء العرب الآخرين المعاصرين و خاصة الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي اتسمت كل أفعاله بالغوغائية و الضجيج الإعلامي المبالغ به. صفحة خالدة و عظيمة من تاريخ العراق الحبيب خطها قائد ثورة ١٤ تموز الخالدة الزعيم عبد الكريم قاسم لتؤكد النهج القومي العربي لعراق ١٤ تموز ١٩٥٨ و لتشع كوسام لامع على جبين ارض الرافدين إلى جانب أوسمة دعم ثورات الجزائر و الجنوب العربي و فلسطين . فلكم الفخر كل الفخر أيها العراقيون الشرفاء فهذا تاريخكم المعاصر يحاكي تاريخ أجدادكم السومريون و الاكديون و البابليون .

و هنا أتساءل و بكل صدق أيها القراء الأعزاء من منكم سمع أو عرف بهذه الواقعة المشرفة من تاريخ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة ؟

عبد الكريم قاسم مع الملك المغربي

سر الرسالة التي بعث بها حسين سري الى رئيس وزراء العراق

اد. علياء محمد

عندما قدم نوري السعيد استقالة وزارته الرابعة في يوم ١٨ شباط ١٩٤٠ وقع اختيار الوصي الامير عبد الاله على رئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني لتأليف الوزارة الجديدة.

وقد الف الكيلاني وزارته الثالثة التي ضمت اربعة من رؤساء الوزارات السابقين، ودخل فيها خمسة من اعضاء الوزارة المستقيلة فكانت اول وزارة قومية تألفت بصورة دستورية سليمة فقوبل تأليفها بارتياح كبير من مختلف ابناء الشعب- ومنذ ان تسلمت الوزارة الكيلانية الحكم اخذت توالي الحاحها على حكومة الدولة الحليفة بوجوب ايجاد حل لمشكلتي البلدين الشقيقين: سوريا وفلسطين- حلا يحقق رغبات العرب في شتى امصارهم

ناهيك بان استقلال هذين القطرين العزيزين على قلب العراق من شأنه اطمئنان العرب الى حسن نية الانكليز فيساعد ذلك الحكومة العراقية على الضبط العام في المملكة، وعلى تنفيذ احكام المعاهدة التي تربطها بالحليفة.

ادرك السفير البريطاني في العراق منذ اللحظة الاولى لتأليف هذه الوزارة صعوبة التعاون مع الوزارة الكيلانية الثالثة في مثل هذه الظروف الحرجة فاخذ يتحين الفرص للتخلص منها والظاهر ان السفير البريطاني في العراق ضاق ذرعا بموقف الوزارة فاجتمع بوزير خارجيتها نوري السعيد في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٠ وابلغه بحضور الوصي الامير عبد الاله:

ان الحكومة البريطانية لاتثق بالوزارة الكيلانية القائمة، وعلى العراق ان يختار احد حلين:

اما الاحتفاظ برشيد عالي رئيسا لحكومته واما الاحتفاظ بصداقة بريطانيا العظمى!!.

فلما علم الوزراء بامر هذا الاجتماع كلفوا رئيسهم الكيلاني ان يتصل بالسفير البريطاني ويستعلم منه عما اذا كان بين العراق وحليفته بريطانية خلاف صريح محدد فلما اجتمع رئيس الوزراء بالسفير البريطاني سمع منه القول عينه، الذي قاله لنوري السعيد امام الوصي فلم يكن من الكيلاني الا ان جابه السفير بالحقيقة فرد عليه قائلا:

انه لايهتم ابدا بثقة اية حكومة اجنبية ولايأبه لاعتمادها عليه ما دام هو يتمتع بثقة الشعب العراقي وتأييده، وثقته الممثلة في برلمانه.

وهكذا بقي السفير البريطاني يلوح بضرورة تنحية الوزارة الكيلانية الثالثة عن الحكم بينما الوزارة ماضية في تمشية اعمالها في جو يسوده السكون والثقة في النفس... واذا براديو برلين يذيع التصريح الالماني الايطالي عن عطف حكومتي المحور على جهاد العرب في سبيل الاستقلال ويكرر اذاعته في ليال متتابعة، ويظهر ان حكومة لندن اضطربت للمفاجأة الالمانية الايطالية فشاع حالا ان العراق ينوي اعادة علاقاته بالمانيا.

وفي ٢١ كانون الاول ١٩٤٠ حدد رشيد عالي الكيلاني سياسة حكومته الخارجية امام اللجنة المالية في مجلس النواب على النحو الاتي :

اولا: المحافظة على سلامة البلاد وعدم توريطها في اي عمل من شأنه ان يجرها الى شرور هذه الحرب وبذل اقصى الجهود في سبيل استمرار الهدوء الذي تتمتع به البلاد بالرغم من وجود هذه المعركة الدولية الهائلة ليتمكن ابناء الشعب من الدوام في اعمالهم المثمرة والمفيدة لهم ولمجتمعهم ومن تهيئة كل قواهم لخدمة وطنهم والذود عن كيانه فيما اذا اراد ان يمسه احد.

ثانيا: الاستمرار في اداء الرسالة القومية التي اخذ العراق على عاتقه تحقيقها لاسيما وان العراق وهو من الدول العربية التي تمتعت بنعمة الاستقلال في وضع يستطيع التعبير معه عن تلك الاماني القومية وملاحقتها.

ثالثا: القيام بتعهداتنا الدولية كمعاهدة الحلف العربي، وميثاق عدم الاعتداء يربطنا بجيراننا واما علاقتنا مع حليفتنا بريطانيا العظمى فهي مبنية على معاهدة التحالف المنعقدة بيننا، ونحن كنا ومازلنا متمسكين بتنفيذها نصاوروحا دائبين على توثيق عرى الصداقة بيننا على اساس المنافع المتبادلة كما ان علاقتنا الودية سائرة في ازدياد مع الدول المتحابه لنا.

ويبدو ان بعض الصحف قد وقعت في خطا مطبعي جعلها تنشر الفقرة الاخيرة كما هي ولكنها انهتها على النحو الاتي:

كما ان علاقتنا الودية سائرة في ازدياد مع الدول(المتحاربة) بدلا من المتحابة. ويبدو ان بريطانيا حثت اصدقاءها لمشاركتها في الضغط على حكومة الكيلاني فا وعز تشرشل الى روزفلت بان يرسل برقية عن طريق وزير الولايات المتحدة المفوض في بغداد، يحذر فيه العراق من مغبة التقارب من المحور وبين كيف ان ذلك لايمكن ان يخدم قضية استقلال العراق.

وكان على راس الوزارة المصرية انذاك حسين سري باشا وهو من اصدقاء بريطانيا اذ بعث برسالة عتاب مطولة الى رشيد عالي الكيلاني بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٤٠ قال فيها:

[عزيزي فخامة رشيد عالي بك: اقرئكم اطيب السلام، وبعد فقد قرأت في الجرائد اليومية خبرا عن تصريحات القيتموها في اللجنة المالية في مجلس النواب العراقي عن سياسة العراق الخارجية وليس من شأني بصفتي رئيس حكومة مصر ان اتدخل في امر تعده حكومة العراق من امور سياستها الخاصة ولقد جرت بين رفعة علي ماهر باشا وفخامة نوري السعيد باشا في مصر احاديث عن حلف عربي يشترك فيه العراق ومصر وكان يقدر استئناف المفاوضة في هذا العام ولكني اذا اعرض الامر تصريحات فخامتكم لا اريد ان اتحدث عن مراميها او اثرها من هذه الناحية، وانما هي الاخوة في السلام والمودة التي لم تزل ولا تزال تربط بين البلدين، والتشابه بين مركز البلدين بريطانيا العظمى التي تدفعني لان انا جيكم في هذا الشأن. وقد استوقف نظري في بيان الامس التي تقوم عليها سياسة العراق الخارجية الاشارة الى ازدياد توثق علاقات العراق الودية مع الدول الاخرى المتحاربة(بعد حديث عن علاقاته مع حليفته بريطانيا العظمى وعن عمل العراق على تنفيذ معاهدة التحالف بين البلدين نصاوروحا ودابه على توثيق عرى الصداقة معها على اساس المنافع المتبادلة). ولقد علم ان العراق قطع علاقاته السياسية مع المانيا دون ايطاليا ولا ادري اذا كانت الاشارة ترمي الى امكان اعادة تلك العلاقات سيرتها السابقة ولكن الذي يتبادر للنظر هو ان الملحوظ بالاشارة ايطاليا التي بقي وزيرها المفوض في بغداد وان يكن البلدان سواسية في خصومتها مع بريطانيا تلك الخصومة التي سوغت قطع العلاقات السياسية مع الاولى. وايطاليا جارة مصر بطرابلس من ناحية الغرب وينتظم شواطئ البلدين البحر الابيض المتوسط وكان بينها علاقات عمرانية واقتصادية كبيرة ومصر تعلم الشيء الكثير عن سياسة ايطاليا في الشرق، ولا ادلكم على جديد اذا ذكرت ان مستقبل المدنية اذا ظفرت ايطاليا وصاحبتها مكفهر وان امل الامم الصغرى كمصر والعراق، الاحتفاظ بشخصيتها واستقلالها وهما ظافران يحوطه الشك الشديد.

ولقد اتبين ضرورة الحذر والحرص على المسالة وان كنت اعلن ان حظ ايطاليا من النصر لايكاد يعمل له حساب بعد الذي تبين من انهيار القوة المعنوية في جيشها ولكن عدم اكتفائكم بعموم الاشارة الى الدول الاخرى وتخصيص المتحاربة بالذكر على فان مصر والعراق شأنها واحد من حيث المحالفة مع بريطانيا ومن حيث التزامهما بتقديم المساعدة والتسهيلات..

ولعلكم تقدرون ان ابعد ما يخطر ببال مصر ان تعمل حكومته على توثيق عرى الصداقة مع ايطاليا وهي تقاتل بريطانيا في ارضه... ولولا انني اعلم انكم تكنون لمصر مثل الصداقة التي تكنها لكم واني اثق بنافذ نظركم وحس تقديركم الامور لما ابحت لنفسي ان افضي اليكم بما همس في نفسي ودار بخاطري.] .

تسلم رشيد عالي الكيلاني هذه الرسالة التي بعث بها رئيس وزراء مصر حسين سري ورد على الفور برسالة جوابية بتاريخ ٣ كانون الثاني ١٩٤١ قال فيها:

تحية عاطرة واحتراما فائقا وبعد فقد تناولت بمزيد السرور رسالتكم الكريمة المؤرخة ٢٨ كانون الاول ١٩٤٠ المعبرة عن ارائكم بشأن التصريح الذي ادليت به في اللجنة المالية لمجلس النواب العراقي عن سياسة العراق الخارجية وعن موقف مصر والعراق من هذه الحرب العالمية.

ان اول ما استوقف نظري في كتابكم الكريم العبارة الواردة فيه عن تصريحي وهي.. (مع الدول المتحاربة) لان العبارة الصحيحة التي اوردتها امام اللجنة المالية السياسية وسجلت في محضرها واقتبستها منه جميع صحف العراق ونشرتها بدون اختلاف هي مع الدول الاخرى المتحابة لا (المتحاربة) ومما لاريب فيه ان اول دولة قصدتها من هذه العبارة الدولة المصرية التي تربطنا واياها روابط ود واخاء تزداد ولحسن الحظ وثوقا يوما فيوم. فاذا اتضح هذا لدولتكم فاظن انه يزول ما علق بالذهن من اشكال واحتمالات ناشئة من تلك العبارة المغلوطه التي يظهر ان الجرائد هناك نشرتها بدون التأكد من صحتها، واما علاقتنا مع حليفتنا بريطانيا العظمى فانها مؤسسة كما تعلمون على معاهدة التحالف وان الحكومات العراقية وخاصة الحاضرة منها قد قامت ومازالت تقوم بتنفيذها بكل امانة واخلاص وعاملة جهدها في تقديم كل مساعدة تقضي بها احكام المعاهدة من حيث النص والروح لاننا موقنون ايضا بان الوصول الى تحقيق اماني مصر والعراق وسائر البلاد العربية سيكون ايسر واهون بالتفاهم مع حليفتنا لذا نرى من المصلحة العامة ان لاتفسح المجال للصحف بان تشايع اية دولة معادية وان صحف العراق سائرة على ذلك. واما الحديث الذي اشرتم دولتكم الى انه كان قد سبق ان جرى بين صديقينا رفعة علي ماهر باشا وفخامة نوري باشا السعيد بشأن حلف عربي تشترك فيه مصر والعراق فاننا مازلنا محبذين له ومنتظرين الاشارة من دولتكم لاستئناف المفاوضة بشأنة. وبالختام اكررعظيم امتناني وجزيل شكري لدولتكم على ما اظهر تموه من عواطف الاخوة نحونا.

عزيز علي كما عرفته . لقطات وآراء

(القسم الثاني)

خالص عزمي *

الفنان الراحل عزيز علي الحلقة (٢) (في ٢٦ تشرين الأول . أكتوبر . من عام ٢٠١٠ تمر الذكرى الخامسة عشرة على رحيل الفنان والشاعر والملحن العراقي البارز المرحوم عزيز علي؛ وما هذه الأسطر إلا باقة ورد عطرة يفوح شذاها على قبره اعتزازا وتكريما).

الخامسة:

لم يكن عزيز علي في حياته الدراسية أقل تحديا مما فعله في حياته السياسية والاجتماعية؛ فقد بدأها مع جملة من زملائه في الإعدادية المركزية بالتظاهر والاحتجاج على قرار وزارة المعارف بفصل أستاذهم أنيس زكريا النصولي اللبناني الجنسية من وظيفته على اثر ما كتبه عن الدولة الأموية في الشام عام ١٩٢٧؛ كما قامت بفصل الطلبة المتظاهرين من الدراسة ومن بينهم عزيز علي إضافة إلى الأساتذة عبد الله المشنوق؛ وجلال زريق؛ ودرويش المقدادي؛ ويوسف زينل؛ وإزاء الضغط الشعبي والمقالات الصحفية التي نشرت ضد هذا التصرف اللامسؤول؛ تراجعت الوزارة عن قرارها وسمحت للطلبة بالعودة للدراسة؛ ألا أن عزيز علي ترك الثانوية المركزية والتحق بدار المعلمين الابتدائية في الكرخ تجنبا لملاحقته ومحاسبته مستقبلا. ولكن القدر كان بالمرصاد لهذا الشاب الجموح ؛ إذ ما كاد شهر شباط من عام ١٩٢٨ يهل حتى جاء إلى بغداد الداعية الصهيوني المعروف الفريد موند؛ فتظاهر الطلبة بشكل واسع يقودهم طلاب دار المعلمين الابتدائية في الكرخ، والإعدادية المركزية في الرصافة احتجاجا على مجيئه؛ وقد استطاعت الشرطة أن تلتقط صورة لعزيز علي وهو يهتف تحت لافتة كتب عليها (تحيا الأمة العربية) حيث وقف إلى جنبه كل من حسين جميل وعبد القادر إسماعيل وفائق السامرائي (القادة السياسيون فيما بعد). وإزاء تلك الوثيقة المصورة قررت وزارة المعارف فصل هؤلاء جميعا. ومما زاد الطين بلة، أن قامت الجماهير بالتحشد والالتحام مع الطلبة وغلق منافذ الطرق التي قد يمر منها موكب الفريد موند ومعيته. والذي لم يجد مناصا من الهرب ومغادرة بغداد على عجل .

لقد ظل عزيز علي قعيد البيت وفي عوز مادي شديد؛ مما اضطره على البحث عن أية وظيفة تكفل له وأسرته العيش الكريم ؛ وبعد بحث وتوسط الأخيار وجد له وظيفة بسيطة في مديرية كمرك ومكوس بغداد .ألا أن طموحه في مواصلة الدراسة ظل ملازما له؛ مما دفعه إلى مراجعة دروسه بصيغة خارجية إضافة إلى أعباء الوظيفة. حتى إذا ما حل موسم عام ١٩٣٠. ١٩٣١ دخل الامتحانات النهائية للدراسة الثانوية (البكلوريا) واجتازها بنجاح .

يقول عزيز على عن تلك الفترة العصيبة بالذات (صفحات من سجل حياتي): (كانت. أي تلك الفترة -بداية وعيي السياسي فقد أخذت من تلك السنة أتابع ما كانت تنشره الصحف والمجلات عن الاستعمار والأساليب التي يتبعها في السيطرة على موارد البلاد المستضعفة ونهب خيراتها ؛ الى جانب ما كان يتهامس به الناس من اقوال غريبة عن دور الانكليز في إدارة سياسة العراق .

وسنرى لاحقا كيف تفاعلت تلك الأحداث والإرهاصات في دواخله؛ وكيف ارتفعت به ليعبر عن مواقفه وعن مطامح الشعب وآماله بكل صدق وجرأة .

كان عزيز علي شديد الارتباط والانضباط مع أفراد أسرته؛ وكان أحب الأوقات إليه؛ تلك التي يجلس فيها معهم ؛ ويبادلهم الحديث بخاصة في الفترة التي كانوا فيها صغارا وبحاجة ماسة إلى الرعاية والعناية وحسن التربية؛ وكان لهذا السبب وغيره قليل الاختلاط والتزاور . فلم يعرف عنه أبدا تردده على المقاهي أو دور اللهو وما إلى ذلك؛ بل كان ما يقوم به أثناء فراغه هو حضور بعض العروض المسرحية. أما العروض السينمائية فلا يحضرها إلا نادرا جدا وفي حالات محددة يطرق فيها سمعه عرض فيلم ذي قيمة من حيث القصة والتمثيل والإخراج.

أذكر مرة وقد كنت (ونخبة من شباب الأدب والفن في الخمسينيات) نلبي دعوة للموسيقار سلمان شكر في نادي الكمرك المطل على دجلة قرب المربعة؛ حينما اطل علينا الفنان عزيز علي فجلس على المائدة إلى جانبي متجاذبا أطراف الحديث مع الضيوف؛ و خلال تلك السويعات الرائقة؛ سألني إن كنت ما زلت مواظبا على مشاهدة الأفلام الجيدة؛ فاجب بالإيجاب؛ قال إذن أود أن أشاهد (فيلم القتلة لهمنجوي) فقد قرأت عنه كثيرا هذه الأيام في الصحف المحلية؛ سررت لهذا الاقتراح وللمشاهدة أيضا واتفقنا على المكان و اليوم والساعة؛ وفي الموعد المحدد أخذته بسيارتي (الاوستن الصغيرة) وتوجهنا الى سينما شهرزاد الصيفي في ساحة الطيران ؛ بدأ العرض وبقي عزيز علي يتابع الفيلم بكل انتباه ؛ واستغربت من صمته التام إذ لم ينطق بأية كلمة طيلة مدة العرض؛ على عكس الكثيرين من أصدقائي الذين كان بعضهم لا ينفك معلقا على بعض أحداث الفيلم أو الاستفسار عن بعض الحوارات التي تدور حولها! انتهى عرض الفيلم وخرجنا من حديقة السينما وهو لم يزل ساهما؛ حتى إذا ما ركبنا السيارة قال وهو يبتسم مازحا (شكرا على هذه السهرة؛ والله ... حقك تشوف مثل هذي الأفلام الفخمة؛ لان هم ثقافة وهم متعة) ؛ ثم راح يدلي برأيه في حبكة القصة وجوانبها الإنسانية . لقد كانت هذه الفرصة الثمينة هي الأولى والأخيرة التي ذهبت بها معه إلى دار للسينما .

السابعة

على الرغم من ثقافته وشهرته ومعرفته لعدة لغات منها (الألمانية والانكليزية والروسية) إضافة إلى لغتين شرقيتين هما الكردية والإيرانية (قراءة وكتابة وتحدثا) إلى جانب العربية التي يجيدها تماما من مختلف جوانبها النحوية والبلاغية ...

ذاكرة عراقية
لقد ظل عزيز علي قعيد البيت وفي عوز مادي شديد؛ مما اضطره على البحث عن أية وظيفة تكفل له وأسرته العيش الكريم ؛ وبعد بحث وتوسط الأخيار وجد له وظيفة بسيطة في مديرية كمرك ومكوس بغداد .ألا أن طموحه في مواصلة الدراسة ظل ملازما له؛ مما دفعه إلى مراجعة دروسه بصيغة خارجية إضافة إلى أعباء الوظيفة.

الخ، فأن عزيز علي لم يأخذ مكانه اللائق به في سلم الوظيفة العامة؛ فقد بقي موظفا بدرجة متواضعة في كمرك ومكوس بغداد ؛ ثم ملاحظا في وزارة الإعمار؛ وحينما نقلت خدماته إلى وزارة الخارجية بمعاونة صديقه السفير قاسم حسن (سفير العراق في براغ يوم ذاك) و الذي كان يرتبط بعلاقة وطيدة مع هاشم جواد وزير الخارجية في عهد حكومة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم؛ لم يعين دبلوماسيا كما توهم الكثيرون؛ بل عين ملاحظا مدنيا في

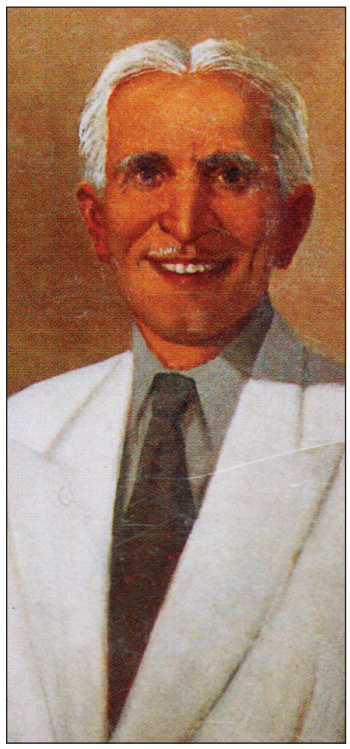

السفارة العراقية في براغ ؛ ولم يدم مكوثه هناك طويلا؛ إذ وقعت مشادة ما بينه وبين موظف دبلوماسي لم يكن يحترم واجب الزمالة إذ خرجت منه لفظة غير لائقة؛ لم يتقبلها عزيز علي منه إطلاقا؛ فثار لكرامته ولقن ذلك الدبلوماسي درسا بالأخلاق نزل عليه كالصاعقة أمام جميع موظفي السفارة.

وحينما وصل العلم إلى الوزارة بذلك الحادث قررت (وكعرف سائد) نقل الموظفين الاثنين من براغ إلى مواقع أخرى؛ وكان من نصيب فناننا الكبير النقل إلى تونس؛ وما كاد يحط ركابه هناك لفترة وجيزة لم تتعد الشهر حتى جاءه أمر الفصل عام ١٩٦٢.

وفي عام ١٩٦٣ أعيد إلى الوظيفة ونسب إلى وزارة الثقافة والإعلام حيث تجاورنا بغرف العمل؛ فتجددت بذلك العلاقة وتواصلت في مجالات الأدب والفن والتراث الشعبي .

كان عزيز علي مسرورا بوظيفته تلك لأنه أصبح يعمل ضمن كوكبة من شخصيات الأدب والفن والصحافة والبحث من أمثال ؛ حارث طه الراوي ؛ وحميد العلوجي ؛ وجميل الجبوري ؛ وعامر رشيد السامرائي ؛ ونوري الراوي ؛ ولطفي الخوري ؛ وناظم سيالة ؛ ولمعان البكري ؛ وكاظم جواد ؛ وسالم الالوسي؛ وخالد الشواف؛ ونعمان ماهر الكنعاني ؛ ومدحة الجادر؛ ومنير الذويب ؛ وعبد الجبار العمر ؛ وعشرات غيرهم ممن عملوا في تلك الفترة بالذات أو ممن تعاقبوا بعدئذ على منصة الثقافة والاعلام من ذات المستوى الرفيع؛ فقدموا خدمات متميزة في شتى حقول المعرفة .

بقي عزيز على في هذا الجو الساحر؛ ثم جاءته الفرصة التي كان يتمناها . ففي تشرين الأول من عام ١٩٦٨ أنيط به تأسيس مدرسة للموسيقى تعتمد منهجا تربويا عصريا؛ فما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد وراح يبذل ما في وسعه لبضع

كل خبرته وكفاءته في سبيل تكوين تلك المدرسة وجعلها واقعا ملموسا بالتعاون مع الدوائر المتخصصة في كل من وزارة الثقافة والإعلام ووزارة التربية. ولم يكتف بذلك بل قام بزيارة مكثفة إلى الاتحاد السوفيتي تجول خلالها في مدارس موسيقية عدة ذات مستوى رفيع في أسلوب الدراسة النظرية والعملية عاونه خلالها الشاعر التراثي المصري المعروف بسعة اطلاعه على هذا النمط من المدارس الراحل عبد الرحمن الخميسي. ولما كملت جولته عاد الى العراق بعد ان تعاقد مع الخبراء وجلب الأدوات والآلات الموسيقية. ولما استكمل كل تلك الجوانب ؛نظم مع مساعديه الفنانين والإداريين أسلوب قبول الطلاب وتهيئة الصفوف الدراسية في المجالين الموسيقي والتعليمي التربوي .

لقد استمر عزيز علي في إدارة هذه المدرسة النموذجية مدة عامين كاملين بكل نجاح؛ واضعا نصب عينيه خلالهما هدفا مركزيا بعيد المدى ألا وهو التوسع في هذا الحقل المعرفي بفتح مدارس مشابهة تنقل علوم الموسيقى إلى الأطفال النابهين من ذوي القابليات الفنية في اغلب محافظات العراق .

في تلك اللحظات المشحونة بالأمل من حياة عزيز علي ؛ صدر قرار من وزارة الثقافة والإعلام بإضافة قسم يختص بفن البالية يضاف كقسم إلى هذه المدرسة التي كانت تختص بالموسيقى حسب.

وعلى الرغم من التقارير الفنية المستفيضة والمراجعات المتعددة قام بها مديرها عزيز علي التي كانت جميعها نحذر من ولوج باب هذه المغامرة غير المدروسة من ذوي الاختصاص ؛ إلا أن كل ذلك التحذير لم يجد نفعا أمام القرار الذي اتخذته الوزارة باستحداث ذلك القسم .

هنا وجد عزيز علي و أمام هذا التعنت الذي لا مفر من التنحي عن منصبه؛ فتقدم بتلك الرغبة مع طلب فوري بإحالته على التقاعد.

لقد بذل يومها بعض أركان الوزارة كلما في وسعهم لكي يتراجع هذا الفنان الكبير عن موقفه ؛ إلا أن عزيز علي الذي عرف بصلابته واحترامه لمواقفه متى ما اقتنع بصوابها ؛ أصر على قراره ولم يتراجع قيد أنملة ؛ فخسرت بذلك تلك المدرسة النموذجية الناشئة بخاصة والحركة الفنية بعامة ركنا مهما من أركان نهوضها .

الثامنة

لعل اعتداد عزيز علي بنفسه وثقافته المتنوعة وشهرته الواسعة؛ واحترامه لفنه ولشعره ؛ من العوامل الأساسية التي جعلته يبتعد كثيرا عن أجواء الحفلات العامة ؛ والملاهي والنوادي ... وما إلى ذلك من مواقع اللهو ؛ ويقول هو عن ذلك في الجزء الخاص من مذكراته . المصدر السابق . صفحات من سجل حياتي .) ما يأتي : .) لم اتخذ قابلياتي الثلاث (النظم ؛ والتلحين ؛ والإنشاد) للتعيش والارتزاق . ولم أظهر في حفلات عامة أو خاصة سوى بحفلة واحدة سينمائية في سينما الملك غازي ؛ متبرعا لمنفعة نادي الكمرك حين اشرف النادي على الإفلاس ؛ إذ لم يهن علي أن يغلق هذا النادي وأنا احد أعضائه و مؤسسيه منذ سنة ١٩٢٩ـ وكنت وقتئذ موظفا في مديرية كمرك ومكوس بغداد ـ ؛ وفي حفلة أخرى أقيمت في نادي المحامين متبرعا لمنفعة الجزائر (.

لقد زار عزيز علي عددا من دور الإذاعة والتلفزيون في أنحاء شتى من العالم ؛ وقدم على الهواء بعضا من أعماله البارزة دون التقيد برضا المسؤولين او عدمه ؛ بل طبقا للمنهج الذي رسمه لنفسه ؛ ومع ذلك فلم يصلنا من مجموع تلك الأعمال إلا التسجيلات التي أنتجها تلفزيون الكويت ؛ والتي ما زالت تقدم من على بعض الفضائيات بين الحين والآخر .

لقد شارك عزيز علي أيضا في فيلم سينمائي وحيد هو (ابن الشرق) وكان من إنتاج شركة أفلام الرشيد عام ١٩٤٦ مع نخبة من ممثلي العراق ومصر ومن إخراج نيازي مصطفى ؛ لقد كانت مشاركته متواضعة أدى خلالها شيئا مما اختاره من أقواله المشهورة ؛ وقد عرض فيلم ابن الشرق في بغداد أيام عيد الأضحى المبارك من نهاية السنة ذاتها .

أما بصدد الاسطوانات والتسجيلات التي أنتجت لهذا الفنان المبدع فقد كانت كثيرة جدا وخاصة ما قامت به شركة جقماقجي ؛ إضافة إلى الكثير مما طرحته الإذاعة العراقية وبعض الإذاعات العربية؛ وقامت مكاتب التسجيل بوضعها على أشرطة صوتية طبقا لمواصفات تلك الأيام .

التاسعة

كأن سلطات الحكم في محاربة الطيور المغردة التي تحلق خارج السرب؛ هي واحدة في مختلف العصور .

اذ ان تلك الطيور المشاكسة التي لا تعرف غير فضاءات الحرية مجالا واسعا لتحليقها ؛ تأبى أن تنصاع لإرادة تتحكم بها لأي سبب كان. وعزيز علي طائر غريد من ذلك النوع العاشق للحرية ؛ ولهذا فقد اختلفت الأساليب الشكلية في إيقافه عند حده ؛ ولكن الهدف كان واحدا في اقتناصه وحجزه : أنها عبارة مكثفة ؛ تحتـاج إلى تفكيك يستند على وقائع نوجزها كما يأتي :

× قاد مظاهرة ضد فصل الاستاذ النصولي وضد كل الفئات التي طالبت بترحيله؛ ففصل هو من الدراسة.

× قاد مظاهرة ضد زيارة الداعية الصهيوني الفريد موند إلى بغداد ؛ ففصل من دار المعلمين .

× فصل من الوظيفة في أوائل حزيران سنة١٩٤١لنشاطه الإذاعي في تأييد ثورة مايس ضد الانكليز .

× في بداية شهر تموز من السنة ذاتها (حيكت له تهمة حيازة مروحة منضدية من أموال اليهود المنهوبة وحكمت عليه محكمة عسكرية بالحبس سنتين).

× بعد أن قضى في السجن أكثر من سنة ؛ سيق إلى معتقل العمارة حيث اعتقل هناك عدد من القوميين والوطنيين المتهمين بالنازية .

× حينما أمضى في السجن والمعتقل سبعة وعشرين شهرا؛ أطلق سراحه في شهر آب سنة ١٩٤٣؛ وكان الوحيد الذي أرسل إلى بغداد مخفورا من بين كل المعتقلين.

× في بغداد طلب منه مدير الشرطة العام في مقابلة خاصة ؛ اختيار مدينة غير بغداد للإقامة ؛ وان يتوجه فورا إلى الإذاعة لتقديم بعض أقواله ؛ لينفي عن نفسه تهمة النازية .

× اختار كربلاء في تلك السنة للإقامة ؛ وامتنع عن الذهاب إلى الإذاعة كما طلب منه لتقديم بعض أقواله .

× عاد إلى بغداد بعد أربع سنوات أي عام ١٩٤٧ ؛وحينما ا طلب منه التقدمي المعروف حسين الرحال مدير الدعاية العام بالوكالة العودة إلى الإذاعة وتقديم أقواله؛ اشترط أن يقدم ما يراه مناسبا دون إشراف أو رقابة ؛ فكان له ذلك؛ فقدم هذا القول بداية عام ١٩٤٨ ومطلعه :

حبسونا عذبونا
والله لوله تقتلونه
وتحركونا وتذرونا
لهذا الوطن حنا نصونه
ما نخونه لاتظنونا

× ظل يقدم أقواله من الإذاعة بين إقدام وإحجام و ومنع تحذير ؛ حتى قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فجند نفسه لها مدة شهرين كاملين ختمها بآخر قول مشهور له قبل أن يترك الإذاعة :

بالغش والفتنة وبالدس
هواية سمعتوا جلمة يس
ثخنتوها ييزي عاد ...نو
نو نو نو لهنانة وبس

ويختم هذه القصيدة بقوله :

يا وطن أبشر ها ليوم لجلك نبخس
كل ما نملك ونجود والله بالنفس
دتظل رفعة راس وبسمك نتنومس

في أوائل عام ١٩٩٣ونحن جلوس في بيته العامر في الداوودي ـ قرب سكة القطار سألته عرضا هل ان سجنك واعتقالك وفصلك ؛ كانت جميعها بسبب مواقفك السياسية آنفة الذكر : قال ؛ ليست كلها لهذا السبب وحسب ؛ بل يرجع ايضا الى الشهرة الواسعة التي حصلت عليها و كانت ضريبتها هي تلك المعاملة القاسية لأنني لم أهادن . لقد كانوا يكررون عليّ في مختلف المناسبات عبارة اوجزها بما يأتي (هسه بطلنا منريد منك مدح ؛ بس خلي الناس تسمع صوتك باذاعتنا او تشوف صورتك بتلفزيونا).

هناك سؤال مهم يطرح نفسه : هل أن القوى الكبرى و المؤثرة يوم ذاك كان بإمكانها أن تتركني بحالي وأنا الذي (ما تركت فرصة إلا ولعنتهم فيها وحرضت عليهم).

قام عزيز علي من مكانه واتجه إلى غرفته في مدخل الدار؛ ثم عاد بعد لحظات وهو يحمل كتابا بيده وجلس في مكانه؛ وهو يقول هذا كتاب فيه أقوالي وصفحات قليلة عن سيرتي خطه الصديق الخطاط يحيى سلوم العباسي وطبعت منه عددا قليلا ؛ يسرني أن أقدم لك نسخة منه بعد الفراغ من حديثنا :

قلب في صفحات الكتاب ؛ وتوقف ليقول ضاحكا ؛ وهذه بعض لعناتي القاسية عليهم ؛ فكيف يرضون بي في صفوفهم :

لكن اللي يدري يدري
وأكثر العالم متدري
وسرنا محد يدري بيه
وقف هالبستان ذري
صايرة للأجنبي
يا عرب هالصهيونيين انتهكوا حرمة داركم
والجار ينخاكم يكلكم هالله هالله بجاركم
الله واكبر يا عرب لحكولهم لحراركم
او قولي ايضا في فلسطين
يا مهد عيسى المسيح يا قبلة المسلمين
يابيت الله القديم يا قدس ... يافلسطين
صرتي نهبه صرتي لعبه
بيد ها لمستعمرين
اوقولي الاهم في برنادوت
حينما اغتيل
يا كونت كلنالك يابه
يا كونت موشي واذنابه
يا كونت تره ذوله عصابه
لكن جان براسك صوت
بل هل أن السياسيين هنا سيتركونني وشأني وانا الذي قلت فيهم : .

ذوله المالاليح لابد ما نحاسبهم
سلموها للريح جنها موسفينتهم
بس بالتصاريح اقبض من دبش عنهم
ومنصار ما صار
ما حركوا قدم عن قدم

هنا اعتدل في جلسته ؛ وقال ختاما؛ هل تعتقد باني لو كنت مهادنا للسلطات ورجلا (يمشي جنب الحائط) كما يقال سأظل موظفا بسيطا كما هي حالي قبل التقاعد ؛ أم سأحتل مركزا بارزا في الدولة كما حصل مع الآخرين الذين طبلوا وزمروا للمستعمر وأعوانه؛ فأضحوا وزراء وسفراء ونوابا ... الخ؟

العاشرة

اضطر عزيز علي ؛ أن يقتطع من داره جزءا ليبيعه ويدبر وضعه المالي بشكل يساعده على الاحتفاظ بمنزلته وكرامته ؛ أشترى احدهم ذلك الجزء وابتنى عليه دارا تشرف بعض شبابيك طابقها الأول على حديقة بيت عزيز علي بشكل مباشر؛ وعلى الرغم من احتجاجات فناننا الكبير ورجاءاته وتوسط الجيران والمعارف من المشتري بضرورة رفع التجاوز والشرفية ؛ إلا أن الأخير لم ينصع لذلك أبدا .

وبناء على ذلك فقد اتصل ني هاتفيا وشرح لي القضية بإيجاز وطلب الاستشارة القانونية ؛ استمهلته لحين دراسة الموضوع على الأرض وبموجب الوثائق والخرائط ؛ عندها توصلت إلى ضرورة إقامة الدعوى في محكمة بداءة الموضوع في الكرخ .أقمت الدعوى.

على الرغم من التقارير الفنية المستفيضة والمراجعات المتعددة قام بها مديرها عزيز علي التي كانت جميعها نحذر من ولوج باب هذه المغامرة غير المدروسة من ذوي الاختصاص ؛ إلا أن كل ذلك التحذير لم يجد نفعا أمام القرار الذي اتخذته الوزارة باستحداث ذلك القسم.

*أديب ومؤرخ عراقي

هذا الاعلان مهدى الى رؤوساء مجالس المحافظات الجنوبية ومجلس محافظة بغداد ودعاة الحملة الايمانية ليعرفوا كيف كان يعيش العراقيون عام ١٩٥٤

حفلة بالو ساهرة

في فندق شط العرب — البصرة

يوم الخميس المصادف ١٩٥٤/٣/١١ من الساعة التاسعة حتى بعد منتصف الليل ويوم الجمعة حفلة خاصة للسيدات من الساعة الثانية حتى الرابعة والنصف مساء

ستقوم ادارة محل الامباسي (ملكة المطاعم) باقامة حفلة رقص غربي في فندق شط العرب وسيكون المنهاج عرض أحدث الازياء الباريسية ومن ضمنها أزياء الشواطئ (المايوهات) من قبل ملكات الجمال وهن :

ملكة جمال العالم وملكة جمال النرويج وملكة جمال حوض البحر الابيض المتوسط وملكة جمال باريس .

وسيستغرق عرض الازياء ساعة ونصف وبعدها عزف موسيقى من قبل الاوركسترا الشهيرة (ماريو اريكوني) مع المغنية العالمية (ربن ديديا)

فندعو الجمهور لحجز المقاعد لأنها محدودة .

سعر بطاقة الدخول للحفلة الساهرة ديناران وللحفلة النهارية دينار واحد

سعر العشـــاء ٦٠٠ فلس

« الشاي الكامل ١٥٠ «

« قدح الويسكي ٢٠٠ «

تباع البطاقات في فندق شط العرب بالبصرة .

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون